"التَّعالُم" ومظاهره في ضوء السُّنّة النبوية
دراسة موضوعية

خديجة فاطمة بنت سيد ممتاز الدين[١]
khateja٢٠٠٨@gmail.com

ملخَّص البحث:
يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل إحدى أهمِّ فِتَن العصر وقضاياه، وهي: فتنةُ "التَّعالُمِ"، وهو: التَّظاهُرُ بالعلم دون الاتِّصاف به حقيقةً؛ وذلك من خلال أبرز مظاهره الثلاثة الكبرى من تعليم وتدريس، وتأليف وتحقيق، وقضاء وإفتاء، وكلُّ ذلك في ضوء السنة النبوية كدراسة موضوعية معاصرة. وتهدف هذه الدراسة إلى إثبات وتحقيق أنَّ "التَّعالُم" من الفِتَن التي تنبَّأ رسولُ الله ﷺ بظهورها وانتشارها في آخر الزَّمان قُرْب يوم القيامة، وقد [٢]وقعتْ هذه الفتنةُ تماماً؛ مِصداقاً لِما أخبر بها عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. وتَكمُن الأهميةُ العظمى لمثل هذه الدراسات في بيان إعجاز الحديث النبوي الشريف في تحقُّق التنبُّؤات النبوية الواردة في الأحاديث الشريفة.
ويحتوي البحث على مبحثين، يعرِّف أولهما "التعالُم" و"الْمُتعالِم" من حيث اللغة والاصطلاح، ثم يبيِّن الأدلةَ التي ورد فيها "التَّعالُم" من حيث المعنى في كل من القرآن والسُّنّة، كما يُورد أقوال الصحابة والتابعين وبعض قدامى العلماء والمعاصرين التي جاءت في "التَّعالُم". أما المبحث الثاني فهو يذكر مظاهرَ "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال التدريس والوعظ والإرشاد، وبمجال النشر والتأليف والتحقيق، وكذلك فيما يتعلَّق بمجال الإفتاء والقضاء. ويختتم البحث بذكر ما توصلت إليه الباحثة من نتائج عديدة.

المقدمة:
الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومَن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم الدين، اللهم لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علماً يا ربَّ العالمين، اللهم آمين.

---

[١] طالبة دراسات عليا، بقسم القرآن والحديث، الأكاديمية الإسلامية، جامعة ملايا – كوالالمبور، (ماليزيا).

أما بعد... فخيرُ الكلامِ كلامُ الله تبارك وتعالى، وأفضَلُ الْهَدِيِ هَدْيُ المصطفى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأجَلُّ النِّعَمِ وأعظَمُها على الإطلاق نعمةُ العلم وما يقتضيه بل ما يزيِّنه ويحلِّيه من الْخُلُق الفاضل القويم، فهذا من أحسن ما أكرم به الخالق البشرية جمعاء عامةً، والأمة المحمدية خاصةً.

وأكبَرُ دليلٍ على ذلك أنَّ أوّل ما خلق اللهُ جلَّ شأنه: القلمَ، ثم أمره بكتابة ما شاء تعالى من المقادير. وأوّل ما أنزل الله تبارك تعالى على خاتم أنبيائه من الوحي الإلهي: قولَه تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، كما أنَّ الحقَّ تبارك وتعالى لم يأمرنا بالاستزادة في الدنيا من أيّ شيء سوى العلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤]، ولو كان شيءٌ آخر في الدنيا أعَزَّ وأشرَفَ من العلم لأمرنا الله بالاستزادة منه، كذلك فإنَّ ما ينبغي أن يصاحبه من الْخُلُق هو أعظَمُ ما امتدح الله به سيدَ الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضَلُ الصَّلاة وأتَمُّ التسليم، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤]، ولولا هذه الأخلاق ما أحبَّه القريبُ والبعيد، وامتدحه العدوُّ قبل الصَّديق.

والعِلمُ الممدوح المطلوب الاستزادة منه في القرآن الكريم هو العلم الشرعي، الْمُتَّبَع لكتاب الله تعالى وسُنَّةِ المصطفى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فهذا الذي عظَّم الله شأنه، ورفع قدره، وأعلى منْزلته.

وأَوْلَى الناسِ بتحصيل هذا العلم من مَورِدَيه الأصيلَين من اختارهم الله تعالى واصطفاهم للعَلِّ منه والنهل، وآتاهم من فضلِه وكرمه ما جعلهم هُداةً مهتدين أبراراً، ملتزمين سُبُلَ المتّقين الأخيار، مُتّبعين للسُّنَن والآثار، متحلِّين بالمكارم الأنوار، متخلِّين عن صفات الفُجَّار، فهم – حماهم الله – أركان الشريعة، وحصون الدين المنيعة، وبهم تُهدَم البِدَع الشنيعة، وهم أمناء الله تعالى من خليقته، والواسطة بين المختار عليه السَّلام وبين أمته، أئمة الهدى ومصابيح الدُّجَى، بهم حفظ الله تعالى الدين، وصانه عن أباطيل الكذَّابين.

تحمَّلوا لنيل العلم وتحصيله ما تحمَّلوا، ومن خدمته والذَّبّ عن حياضه تمكَّنوا، فعمَّروا في سبيله الأوقات وأفنوا الأعمار، وتجشَّموا لأجله مشاقّ الرحلات والأسفار، وخاضوا بفرسانهم الأنهار والبحار، وسلكوا المجاهل والفيافي والقِفار، وفارقوا الأهل والأحباب والأوطان، وهجروا أطايب الملذَّات والأوطار.

قلوبُهم بلآلئ التُّقى والإيمان مرصَّعةٌ، وألسنتهم بضوء الحقِّ والبيان منوَّرةٌ، وأنفسهم بدُرَر الهدى والفرقان مزيَّنةٌ، لذا فهم مِن أشرف مَن رفعهم الله تعالى مِن خليقته لِما يحملون في صدورهم من أشرف ما أنزله تعالى من علومه ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ [المجادلة: ١١].

وعلى نقيض أئمة المسلمين هؤلاء مَن هم أصحابُ الحقِّ الربانيين، وعلماء الملة والدين – تماماً – يأتي أولاء الْمُتعالِمون، المدَّعون بما لم يُعطَوا، المتشبِّعون بما لم يُمنحَوا، شعارُهم الكذب والزُّوْر، ورسولُ الله) يقول: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِس ثَوْبَيْ زُوْرٍ[1]»، ودثارُهم المكر والخديعة، واللهُ تعالى يقول: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، دَسُّوا أنفسهم بين أهل الحقِّ ترويجاً لبضاعتهم، وتزييناً لمزاعمهم وأباطيلهم، افتراءً على الدين وتشويهاً لسُمْعَة الإسلام والمسلمين، فلا هم للشريعة الغرَّاء نصروا، ولا لشوكة الكفر كسروا، بل كانوا بأساً وبلاءً على الدين، وعِبئاً ثقيلاً على كاهل أهله المؤمنين، ووصمةَ عارٍ على جبينه الغُرِّ المبين.

فهم من العلم خواءٌ، ومن الْخُلُق براءٌ، بل على نقيض ذلك تخلَّقوا بالعُجْب والكبرياء، وتحلَّوا بالبطر والخُيلاء، قلوبُهم للهوى وعاءٌ، وأذهانهم خِلْوٌ من النبوغ والذكاء، وحلوقهم لا تفترُّ من اجترار الادِّعاء تلو الادِّعاء، تسلَّطوا على العباد بداء الفُحش والبذاء، فحُرموا بخُبث مقاصدهم وقُبح نياتهم ميراث الأنبياء ومنح الأولياء؛ لأن غايتهم في كل ما يعملونه نيلُ الشهرة والرياء، فإلى الله نرفع أكفَّ الدعاء لِيُنجي الأمةَ من شرِّ هؤلاء.

لقد ظهر "التَّعالُم" – هذا المرض الخبيث والدَّاء العجيب – حيث ظهر، في عصر تكالبت على الأمة فيه فِتَنٌ عوجاء، واشتدَّتْ عليها نوازلٌ ومِحَنٌ شعواء، ليُصيبها في أساسها وعمادها، وقد اندلع على مصراعيه مُحدِثاً فيها عظيم الفساد والاختلال، ومختلقاً أعاجيب البِدَع وأفانين الضلال، وقد اتَّخذ هذا البلاءُ المبينُ والشَّرُّ المستطيرُ ألواناً متنوعةً، وأشكالاً مختلفةً، فتعدَّدت ظواهرُه وتكاثرت مظاهرُه، من تعالُمٍ في الإفتاء والقضاء، أو في مجال الوعظ والتدريس، والدعوة والإرشاد، أو ما يتعلَّق بدائرة النشر والتأليف والتحقيق، وهلم جراً.

---

[1] أخرجه البخاري في الجامع الصحيح المسنَد، ص٩٨٢، برقم (٥٢١٩)، ومسلم في الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، برقم: (٢١٢٩)، عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ له.

وهذا الذي أتحدَّث عنه وأذكره هو في الحقيقة ليس وليدَ العصر؛ بل ظهر بُعَيْدَ العصر النبوي، لكنه في عصرنا الراهن قد ذاع وشاع، وعمَّ وطمَّ.

لذا فلا بُدَّ لأهل الغيرة والحمية، والنخوة الدينية الإيمانية أن يتداركوا هذا الداء بناجع الدواء، ليرزق الله الأمة عاجل الشفاء.

ومن هنا كانت فكرة إعداد هذا البحث المتواضع، والذي لا يوجد مَن كتب عنه سوى العلامة الجليل، الشيخ الفاضل النبيل بكر بن عبد الله أبي زيد[١]، وذلك في رسالته الماتعة "التَّعالُم وأثره على الفكر والكتاب"[٢]، وهي في الحقيقة رسالة بليغة الأسلوب، عريقة المضمون، رائعة المبنى، فائقة المعنى. تحدَّث فيها – رحمه الله تعالى – عن "التَّعالُم" وظواهره المختلفة، وما هو عليه في عصرنا الراهن، وضرب لذلك أمثلةً من بطون كتب السِّيَر والتاريخ مع ذكر بعض المؤلفات فيه مما يدلُّ على أنه ليس وليدَ العصرِ بل له جذورٌ قديمةٌ، لكنها الآن امتدَّتْ وقَوِيَتْ، واتّخذتْ مظاهرَ مختلفةً وألواناً عديدةً، تلا ذلك أبحاث مختصرة مفيدة للغاية دالَّةً على ما أراده الشيخ مِن بيان خطرِ هذا المرض الخبيث على الفرد نفسه دنياً وأخرى، وعلى الأمة الإسلامية جمعاء، فجزاه الله تعالى عنا جميعاً خيرَ ما جَزَى غَيُوراً على دينه وشرعِه، ومُدافِعاً عن سُنَّة نبيِّه – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – وأُمَّتِه.

---

[١] هو بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله القضاعي: (١٣٦٥ – ١٤٢٩هـ): العلامة الفقيه، العالم النبيه، الأديب الأريب. تخرَّج في كلية الشريعة بالرياض، ثم نال شهادةَ الماجستير ثم الدكتوراة من المعهد العالي للقضاء بالرياض. عمل مدرِّساً في المسجد النبوي الشريف، ثم إماماً وخطيباً فيه، ثم رئيساً لمجمع الفقه الإسلامي الدولي. توفي بمدينة الرياض. ومن مؤلَّفاته: "حلية طالب العلم"، و"التعالم وأثره على الفكر والكتاب"، و"تصحيح الدعاء"، و"الردود" وغيرها. انظر لترجمته: "موقع الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد". http://s.sunnahway.net/bakrabozaid/

[٢] كما قمتُ كذلك بعون الله وتيسيره، بإعداد رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في الحديث النبوي، بقسم القرآن والحديث، الأكاديمية الإسلامية، في جامعة ملايا، بعنوان: "التعالم ومظاهره في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية معاصرة".

المبحث الأول: مفهوم "التَّعالُم":

بما أنَّ موضوع هذا البحثِ يدور حول "التَّعالُم"؛ فلا بُدَّ من تعريف جامع لهذا المصطلح، الذي لم يُعرَف قديماً في عهد السَّلَف بالمفهوم المصطلَح عليه اليوم[١]، لذلك أرى من الضروريِّ أن أقوم في مطالب هذا المبحث بتعريف هذا المصطلح لغةً واصطلاحاً، ثم بتعريف المتّصِف به (أي الْمُتعالِم)، ثم بدراسة ورود هذا المصطلح في القرآن الكريم والحديث النبوي، ثم سوق أقوال الصحابة والتابعين وبعض قدامى العلماء والمعاصرين التي وردتْ في "التَّعالُم".

المطلب الأول: تعريف "التَّعالُم" لغةً واصطلاحاً:

"التَّعالُم" على وزن "التَّفاعُل"، وهو مصدرُ "تَعالَمَ يَتعالَمُ تَعالُماً"، وهو مشتقٌّ من فِعل "عَلِمَ، يَعْلَم، عِلْماً"، و"العلمُ" نقيض: الجهل[٢].

و"التَّعالُمُ" هو: التظاهُرُ بالعلم[٣]، وسيأتي تعريفه المفصل.

ولصيغة "التَّفاعُل"، معانٍ عِدّةٌ عند العلماء[٤]، منها أنها تُستعمَل لـ:

١) الدلالةِ على مشاركة اثنَين فأكثر في أصل الفعل الثُّلاثي نحو: تخاصَمَ زيدٌ وعليٌّ وتضارَبا.

٢) وللدلالة على تكلُّف الفاعل إظهارَ الفعل وهو في الحقيقة غيرُ مُتّصِفٍ به، نحو: تجاهَل وتغابَى وتعامَى.

---

[١] وقد ذكر الأستاذ أبو بكر يوسف لعويسي في مقال له بعنوان "المعالم لمعرفة حد التَّعالُم": إنَّ "مجمع الفقه الإسلامي" التابع لمنظَّمة المؤتمر الإسلامي بجُدَّة، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، قام بدراسة هذا المصطلح، وقرَّر جواز التعامُلِ به في المصنَّفات والخطابات الشرعية. انظر: أبو بكر يوسف لعويسي، المعالم لمعرفة حد التَّعالُم، المنشور في موقع "الأمين موقع سلفي علمي للتعريف بالمصطلحات والعلوم الشرعية": www.al-amen.com/vb/showthread.php/٧٦٢٩

[٢] انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج٢، ص١٥٢، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢، ص٣١٥، انظر مادة "علم".

[٣] انظر: "المعجم الوسيط" ص٦٥٥.

[٤] انظر في معاني هذه الصيغة: سيبويه، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، الكتاب، ج٤، ص٦٦، ٦٩. وأبو بكر ابن السراج، (١٤٠٧هـ)، الأصول في النحو، ج٣، ص١٢٠. وأحمد بن محمد الميداني، ص١٦، ١٧. وابن الحاجب، (١٤١٥هـ)، الشافية في علم التصريف، ص٢٠. وأحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذى العرف في فنّ الصرف، ص٤٤.

٣) وللدلالة على حصول الشيء بالتدرُّج، كـ: تواردَت الإبلُ، وتزايَد النِّيلُ.

وبناءً على المعنى الثاني لصيغة "التفاعُل" يكون "التَّعالُم" بمعنى: التَّظاهُر، فنقول: "تَعالَم فلانٌ" إذا أظهر العلمَ وهو ليس كذلك، وعلى هذا يَكمُن فيه معنى الادِّعاء لأجل الظهور والبروز، وكسبِ المال والجاه، ونيلِ الشُّهْرَة والمكانة.

ودلالةُ وزن "التفاعُل" عموماً تكون لإظهار ما ليس واقعاً في الأصل والحقيقة كما أسلفتُ، نقول: "فلانٌ تَجاهَلَ الأمرَ وتَغافَلَه"؛ إذا أظهر من نفسه الجهلَ والغفلةَ تِجاه أمرٍ ما وهما في الأصل والحقيقة منتفيان لديه، كما إذا قلنا: "تحالَم الرجلُ"؛ إذا أظهر الحِلمَ وهو منتفٍ لديه، وهكذا.

فـ"التَّعالُم" هو ادِّعاء العلم بالقول، أو العمل، أو الحال، أو الهيئة، ونحو ذلك، ممن ليس من أهل العلم[١].

أمَّا "الْمُتعالِم": فهو مَن اتَّصف بهذه الصفة القبيحة المذمومة من إظهار العلم وادِّعائه وهو ليس كذلك.

وهذا التعريفُ لـ "التَّعالُم" و"الْمُتعالِم" لم أعثر عليه في القواميس والمعاجم العربية القديمة، إلاَّ أنَّه في بعض كُتُب القدامى استُعملت بعضُ ألفاظٍ بمعنى "التَّعالُم"، مثل لفظة "التَّحاذُق" التي استعملها الجاحظُ[٢] في رسائله في ذمِّ أخلاق الكُتَّاب فقال: "فإنَّ أحدهم يَتحاذَق عند نُظرائه بالاستقصاء على مِثله"[٣]؛ يعني: أنه يتظاهر بالعلم والمعرفة عندهم وهو في الحقيقة على عكس ذلك.

ومن هذا نستنتج: أنَّ هذا الوزن (أي: التفاعُل) يُستعمَل على وجه العموم لأجل الذَّمِّ؛ وذلك لإخفاء الحقيقة وسترِها وإظهارِ خلافها.

---

[١] انظر مادة "علم" في هذه المعاجم العصرية: الكيرانوي، القاموس الوحيد، ص١١١٩. و"المعجم الوسيط" ص٦٥٥. والمعجم العربي الأساسي، ص٨٦٠.

[٢] هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥هـ): كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة، منها: "الحيوان"، و"البيان والتبيين"، و"البخلاء"، و"المحاسن والأضداد"، ومجموع رسائل". انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٧٤.

[٣] الجاحظ، الرسائل السياسية، ج١، ص٦١١.

"التَّعالُم" اصطلاحاً: عرَّفه مجموعة من العلماء المعاصرين بتعريفات مختلفة من ناحية المبنى، لكنها تتّفق عموماً من ناحية المعنى.

١) فعرَّفه الأستاذ محمد خلف سلامة[١] أنه ادِّعاء العلم بالقول، أو العمل، أو الحال، أو الهيئة، ونحو ذلك ممن ليس من أهل العلم[٢].

٢) وعرَّفه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[٣]: "أنه ادِّعاء العلم نتيجةً للاقتصار على مطالعة الكتب، ومثل هذا يُقال له: (الجاهل المركَّب) وهو الذي يجهل ولا يدري أنه جاهل؛ بل يَظُنّ أنه هو العالِم"[٤].

٣) كما عرَّفه الأستاذ أبو بكر يوسف لعويسي[٥] تعريفاً متكاملاً على صورة مصطلحٍ عصريٍّ حديثٍ كنتيجةٍ لتتبُّعه واستقرائه قائلاً: "التَّعالُم: ادِّعاء الإنسان العلمَ قبل أن يتعلَّم، حيث لا يعرف مرتبةَ الدليلِ ولا مناطه، ولا يعرف الفرقَ بين المجمَل والمبيَّن، والمطلَق والمقيَّد، والعامِّ والخاصِّ، والناسخ والمنسوخ، ثم يتجرَّأ على الخوض في كتاب الله، وسُنَّةِ رسول الله ﷺ، وأصولِ الإسلام، ونتيجةً لذلك قد يقع في التكفير، وقد يقع

---

[١] لم أعثر على ترجمته، إلا أنه من أبناء الموصل في العراق، ومن العلماء المتمكِّنين من الحديث النبوي وعلومه، وله كتاب قيم باسم "لسان المحدِّثين"، وهو يحتوي على الكثير من مصطلحات علم الحديث النبوي على الترتيب الهجائي.

[٢] محمد خلف سلامة، لسان المحدِّثين، وهو كتاب إلكتروني، انظره في موقع "صيد الفوائد" http://www.saaid.net/book/open.php?cat=٩١&book=٣٥١٦

[٣] هو صالح بن فوزان بن عبد الله، من آل فوزان (من مواليد عام ١٣٥٤هـ): أحد أكابر وأجلة علماء السعودية. وُلد في منطقة القصيم. تخرَّج في كلية الشريعة بالرياض، ثم نال منها درجةَ الماجستير فالدكتوراه في الفقه. واشتغل بالتدريس في كلية الشريعة وفي المعهد العلمي في الرياض. وهو عضو في هيئة كبار العلماء. ومن مؤلَّفاته: "التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية"، و"أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية"، و"الضياء اللامع من الأحاديث القدسية الجوامع"، وغيرها. انظر ترجمته في موقع "الإمام الآجري"، http://www.ajurry.com/TarjamaFozan.htm

[٤] صالح بن فوزان الفوزان، التَّعالُم وآثاره الخطيرة على الأمة!، مقال منشور في "شبكة سحاب السلفية" www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=١١٩٦٩٠

[٥] أحد أبرز علماء الجزائر، وله هناك نشاط علمي جم من خلال إلقاء المحاضرات والدروس في الدورات العلمية وفي المساجد، كما له مشاركات علمية قوية في العديد من الشبكات الإسلامية. ولم يتيسَّر لي الوقوف على المعلومات عنه أكثر من هذا.

في التفسيق، وقد يقع في التبديع، وربما جمع بين النقيضَيْن وهو لا يُحسِن أن يفرِّق بين الدليل ومناطه والدليلِ ومراتبه"[١].

المطلب الثاني: تعريف "الْمُتعالِم":

أمّا تعريف "الْمُتعالِم" كشخصٍ اتَّصف بهذه الطَّامة العظمى والمصيبة الكبرى؛ وجَرَّه الغرورُ بنفسه والعُجْبُ بها لأن يَلِجَ حظيرةَ الدُّخلاء الْمُتعالِمين، والتي من أشدِّ أخطار الوُلوج إليها: القولُ على الله تعالى بلا علمٍ، ثم التحليلُ والتحريمُ بلا تثبُّت أو رَوِيّة، فهذا أيضاً عرَّفه العديدُ من العلماء بتعريفات مختلفة، وها هي بيانها:

١) فـ"الْمُتعالِم" هو المتشبِّعُ بما لم يُعْطَ، الدخيلُ على العلم وأهله، المتزيِّ بزيّ العلماء ظاهراً، والمخالف المناقض لهم باطناً، تحلَّى بالادِّعاء والكذب، وتعرَّى عن قول الحقّ والصِّدْق، قد يكون حَدَثٌ غِرٌّ صغيرٌ، وربما في السِّنّ شيخٌ كبيرٌ، اعتمد على الصُّحُف والقِمْطِير؛ لذا داؤهما في الأمة خطيرٌ، وشأنُهما عند أُوْلِي العلم ذليلٌ حقيرٌ[٢].

٢) وقد عرَّفه الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود[٣] فقال: "الْمُتعالِم هو شخصٌ يُظهِر نفسَه أنه عالِمٌ بالأمور الشرعية ودلائلها، وطرائق الاستنباط فيها، يدَّعي أنه كذلك وليس كذلك، ثم يتكلَّم في مسائل الأمة إمّا في قضاياها الكبار، أو مسائل العلم الشرعية يتكلَّم فيها وهو على هذه الحال وهذه الصفة، حيث إنه قليلُ البضاعة في العلم، أو ناقصُ العلم، أو مُدَّعٍ للعلم، وليس بعالِم"[٤].

---

[١] أبو بكر يوسف لعويسي، المعالم لمعرفة حد التَّعالُم، مقال منشور في موقع "الأمين موقع سلفي علمي للتعريف بالمصطلحات والعلوم الشرعية" www.al-amen.com/vb/showthread.php/٧٦٢٩

[٢] أبو بكر يوسف لعويسي، المعالم لمعرفة حد التَّعالُم، مقال منشور في موقع "الأمين موقع سلفي علمي للتعريف بالمصطلحات والعلوم الشرعية" www.al-amen.com/vb/showthread.php/٧٦٢٩

[٣] هو عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود السَّلَمي (من مواليد عام ١٣٧٣هـ): أحد كبار علماء السعودية. وُلد في مدينة "البِكَيْرية" من القصيم. تخرَّج في كلية الشريعة في الرياض، وحصل على شهادة الماجستير فالدكتوراه في العقيدة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. ثم عمل أستاذاً في قسم العقيدة في نفس هذه الجامعة. ومن مؤلَّفاته: "مصدر تلقي العقيدة عند السلف"، و"موقف ابن تيمية من الأشاعرة"، و"القضاء والقدر". انظر ترجمته في "موقع عبد الرحمن بن صالح المحمود". http://almahmod.net/index.php?option=content&task=view&id=٥١٧&Itemid=٨

[٤] عبد الرحمن بن صالح المحمود، فتنة التَّعالُم، القرص المدمج، (الرياض: تسجيلات الراية الإسلامية).

ويمكنني من خلال هذين التعريفَين السابقين أن أُجمِل القولَ في تعريف "الْمُتعالِم" فأقول: أنَّ "الْمُتعالِم" هو ذلك الشخص المدَّعي، الذي تزيَّا بزَيِّ أهلِ العلم، ولبس لباسَ أهل الدِّين والتُّقَى والورع ظاهراً، ادِّعاءاً منه وزُوْراً وكذباً، وغِشّاً وتدليساً لعوام المسلمين، وهو في حقيقته عارٍ عن كل تُقًى وصلاحٍ، بعيداً كل البُعد عن فضائل الدين والعلم والأخلاق، سواء كان ذلك من ناحية التمكُّن العلمي الذي يحصل إما بالاستعداد الفطري، والموهبة الغريزية، أو بالمجهود الكسبي، وبذل القوى، أو بكليهما معاً، أو من ناحية الرسوخ الديني حيث تقوى الله، وخشية الرَّبِّ جلَّ في عُلاه، والتي هي الصفةُ اللصيقة بأهل العلم الربانيين الراسخين مِصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهو في الحقيقة شخصٌ ممقوتٌ منبوذٌ عند علماء الملة والدين، وأهلِ الحقّ والتُّقَى واليقين، ومِن أبغض الخَلْق إلى أهل العلم والفَنِّ، وأربابِ الفكر والمعرفة.

وكيف لا يكون كذلك عند مَن عَلِمَ حقيقةَ شخصِه، ووَقَف على أصله ونفسه، واللهُ تعالى يقول: ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣]، واللهُ تعالى جلَّ في عُلاه إنْ أحبَّ عبداً أحبَّه أهل الأرض وأهل السماء، وإنْ أبغض أحداً أبغضه أهل الأرض وأهل السماء.

وصَدَق مَن قال في وصفهم من أحد الأجلة: "الْمُتعالِمون هم الذين ناموا عن العلم، وادّعوه، وبالغوا قبل أن يَبلُغوا، وهؤلاء الذين يدَّعون العلم ويقولون في دين الله تعالى بغير علمٍ وبغير دليلٍ؛ تستهويهم الشهرة، ويَجُرّهم هذا الداءُ الخطيرُ إلى كل شَرٍّ وهلاكٍ، وضلالٍ وإضلالٍ، فلا يتورَّعون عن الرَّدِّ على أيّ سائلٍ، وفي أيّ مسالةٍ، ولا يتمسَّكون أنفسهم عن التعرُّض لأيّ فتوى"[١].

المطلب الثالث: ورود لفظ "التَّعالُم" في القرآن الكريم:

لم يَرِدْ في القرآن الكريم لفظُ "التَّعالُم" صراحةً، لكن بالنظر إلى معناه وفحواه، ومفهومه ومغزاه؛ نجد أنَّ الله تبارك وتعالى قد حذَّر عن هذه الصفة الذميمة الخبيثة أشدَّ ما يكون من

[١] محمد حسان، فضل العلم وخطورة التَّعالُم، انظر "موقع فضيلة الشيخ محمد حسان، http://www.mohamedhassan.org/alkhotab

التحذير، حيث نَهَى ﷻ عن الكذب والادِّعاء، ومخالفةِ القول للعمل، وعن الخوض فيما ليس للمرء علمٌ عنه، واعتبر الشارعُ كلَّ ذا داخل في دائرة النفاق، الذي هو أشَدُّ عقوبةً من الشرك والكفر، فالمنافقون في الدَّرْك الأسفل من النار؛ وذلك لأن شرَّ الكافِر والمشرك وخُبثهما مأمونٌ منه لعِلْم أهل الإيمان بذلك، فظاهرُهما وباطنُهما سواء، بينما المنافقُ فظاهره يُخالِف باطنَه، فلا يُؤمَن شَرُّه وخُبْثُه بسبب الكذب والخداع والظهور على غير الحقيقة والأصل، وخلافِ الحقِّ والصِّدق، والأدلةُ على ما أسلفتُ ذِكْرَه كثيرةً، أذكر منها ما يلي:

١) قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ففي هذه الآية نهيٌ صريحٌ من الله جلَّ شأنه من الخوض فيما ليس للمرء علمٌ عنه، فلا بُدَّ للإنسان أن يقف عند حدوده، ويراقب اللهَ تعالى في كل شأنه وأمره، فهو مسؤول عن كل ما نَطَقه لسانه، وسمعتْه أذنه، ورأتْه عيناه، ووعاه قلبُه[1].

٢) وقال الله تعالى ناهياً عن مخالفة القول للعمل، وأنَّ ذلك مما يجلب غضبَ الرَّبِّ جلَّ جلاله، وعظيمَ مَقْتِه، وشديدَ عِقابه، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾. [الصف: ٣].

٣) وقال تعالى في معرض الذَّمّ، مشبِّهاً أولئك الذين أُوتوا الكتاب، ثم لم يعملوا بما فيه بالحمير، التي تَحمِل على ظهورها أطناناً من الأسفار الثقيلة، ثم لا تدري محتواها وما بداخلها، فليس لها إذنٌ سِوى التعب والنصب، والذُّلّ والقهر! وهذا هو في الحقيقةِ نصيبُ "الْمُتعالِمين": ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. [الجمعة: ٥].

٤) و"التَّعالُمُ" ذريعة القول على الله جَلَّ شأنه بلا علمٍ؛ وهذا من أعظم الفواحش وأكبر الذنوب، فقد قال الرَّبُّ تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

[1] انظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٧٨، ٧٩.

وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، حيث إنَّ القول على الله تعالى أعظَمُ جرماً من الشرك بالله الذي هو أعظَمُ الذنوب، وهذه نتيجة حتمية للتَّعالُم.

٥) واللهُ جلَّ شأنه قد بيَّن في مُحكَم تنْزيله عِظَمَ عقوبة "الْمُتعالِمين"، الذين يفرحون ويمرحون عند الفوز بالجاه والثناء، وهم لا يستحقّون ذلك، وحذَّر من ذا الفعل الذميم الشنيع أشدَّ ما يكون من التحذير، فقال: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [آل عمران: ١٨٨].

٦) واللهُ تعالى نَهَى عن تزكية النفس ومدحِها وإطرائها بلا سببٍ مُوجبٍ لذلك، فما بالُ هؤلاء يُحسنون الظَّنَّ بأنفسهم ويُشبعونها مدحاً وإطراءاً بدون وجهِ حقٍّ، مع أنّ الذي ينبغي عليهم ويجب، هو: الحياءُ من الله تعالى ومن الناس، وطلبُ العلمِ، والتفقُّهُ في الدين على هدي السلف الصالح، والسَّيْرُ في طريق علماء الأمة الربانيين، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾. [النجم٣٢].

٧) كما أنَّ الله تعالى نَهَى أهلَ الإيمان نهياً شديداً عن تقديم قول غير الله ﷻ وغير رسول الله ﷺ، على قول الله ورسوله، فإنه متى ما تبيَّن قول الله ورسوله وأمر الله ورسوله؛ وجب اتِّباعه وتقديمه على غيره كائناً من كان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الحجرات: ١].

٨) والله تعالى نَهَى كذلك عن التقوُّل عليه من تلقاء النفس كذباً وافتراءاً على الله؛ وذلك بتحليل الأشياء وتحريمها تبعاً للأهواء والشهوات، وهذا حرامٌ شرعاً، ومن فَعَل ذلك فله العذاب العظيم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ ﴾ [النحل: ١١٦].

٩) وقد أَمَر المولى تعالى رسولَه ﷺ على اتِّباع ولزوم شريعة الرَّبِّ تبارك وتعالى، فهي كاملةٌ تامّةٌ تدعو إلى كلِّ خيرٍ، وتنهى عن كلِّ شرٍّ، ونهاه عن اتِّباع أهواء أهل الجهل الذين لا يعلمون، حيث قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨].

وختاماً... وحتى تتّضح صورة "الْمُتعالِم" جيداً، وتتقارب إلى ذهن القارئ؛ لنبيِّن هذا المثل العظيم الذي ضربه الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، فقال جلَّ شأنه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

ففي هذه الآيات الكريمات ترغيبٌ في العمل بالعلم، وأنَّ ذلك من رِفعة الله تعالى لصاحبه في الدنيا والآخرة، وعصمتِه من الشيطان، وترهيبٌ من عدم العمل بالعلم، وأنَّ ذلك نزول بصاحبه إلى أسفل سافلين، وتسليطٌ للشيطان اللَّعِين عليه، فيتّبع هواه وما يُمليه الشيطان عليه، وفي ذلك من الخذلان والضَّلال الْمُوجِبان للعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

وقد ضرب اللهُ ﷻ مثلَ هذا الرجلِ الضَّالِّ المخذولِ الذي آتاه الله تعالى عِلمَ كتابه فصار عالِماً كبيراً، وحِبْراً نحريراً، ثم انسلخ من الاتّصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، حيث إنَّ العلم بآيات الله يصيِّر صاحبه مُتّصِفاً بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويرقى به إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات دُنياً وأخرى، لكن هذا الضَّالّ الْمُضِلّ تَرَك كتابَ الله وراء ظهره، ونَبَذ الأخلاقَ التي يأمر بها كتاب الله، وخَلَعها كما يُخلَع اللباس.

فلمَّا فعل ذلك؛ تسلَّط عليه الشيطان، وصيَّره إلى أسفل سافلين، يدفعه إلى المعاصي دفعاً، وبذلك أصبح من الغاوين الضالّين بعد أنْ هَيَّأ اللهُ له تلك الأسبابَ الموجبة لأن يكون من الراشدين المرشدين، فخذله الله ووكَّله إلى نفسه وإلى الشيطان، ولو شاء الله لرفعه بهذا العلم – كما رفع عبادَه العلماء الربانيين العاملين الراسخين حيث قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة: ٥٨] – وذلك بأن يوفِّقه للعمل بما آتاه من علمٍ فيرتفع في الدنيا والآخرة، لكنه فعل ما يقتضي الذُّلَّ والخذلان إذْ أخلد إلى الشهوات السُّفْلِيَّة الدَّنِيّة والمقاصد الدُّنْيَوِيّة المنحطَّة، واتّبع هواه وترك طاعةَ مولاه، فمثلُ هذا في شِدَّة حرصِه على الدنيا، وانقطاعِ قلبه إليها كمثل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حالٍ، وهذا لا يزال حريصاً حرصاً يتقطَّع قلبه فيه، لا يسدّ فاقتَه شيءٌ من الدنيا[1].

[1] عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣١٨، بتصرف يسير.

المطلب الرابع: ورود لفظ "التَّعالُم" في الحديث النبوي الشريف:

وكما أنه لم يَرِدْ لفظُ "التَّعالُم" صراحةً في القرآن الكريم؛ كذلك في حديث رسول الله ﷺ لم يَرِدْ لفظُ "التَّعالُم" صريحاً، لكن رسول الله ﷺ أخبر به كفتنةٍ من فِتَن آخر الزمان، وتنبَّأ بذلك ﷺ، فقد حذَّر – عليه أفضَلُ الصَّلاةِ وأتَمُّ السَّلام – من ظهور كَذَبَة آخر الزَّمان ومنافقيه الذين يلبسون للناس مسوح العلم والدين ظاهراً تكسُّباً للمال والجاه، وبواطنهم تَفُوْح منها روائح الْخُبْث والنِّفاق، والكذبِ والزُّوْر، والتي لا تخفى عن ربِّ العالمين، وخاتمِ الأنبياء والمرسَلين، وحَمَلَةِ المِلّة والدين من علماء الأمة الربانيين الراسخين الثابتين، وإنْ خَفِيَتْ عن الجَهَلة والعوام، أهلِ التطبيل والتصفيق، فهم كالخفافيش لا نورَ لديهم ولا بصيرةَ لمعرفة دَجَل هؤلاء وكذِبِهم، وكشفِ زُوْرهم، فهذا أمرُه إلى الله ورسوله، وعبادِه المؤمنين الصادقين المخلصين، حَمَلَةِ رسالة ربِّ الثقلين، حُماةِ الشريعة والدين، ووَرَثَة تركةِ خاتم النبيين، فإنه – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – «لم يُوَرِّثْ دِيْنَاراً وَلاَ دِرْهَماً لَكِنَّهُ وَرَّثَ الْعِلْمَ...»[1]

فعلى أيدي أهل الحقِّ هؤلاء، يكشف اللهُ زَيْفَ أهلِ الباطل وزَيْغَهم، فلا نامت أعين الجبناء...

وإلى بضع أحاديث نبوية شريفة، والتي تحذِّر من هذه الفتنة الشَّعْواء، والبَلِيّةِ النَّكْراء:

١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلمَ يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوْساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوْا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا»[2]، وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهُ، وَلَكِنْ يُذْهِبُ

[1] كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب في فضل العلم، ص٥٢٣، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في الجامع، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ص٦٠٩، برقم: (٢٦٨٢)، كلاهما عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الترمذي: "وهو حديث حسن".

[2] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ص٣٧، برقم١٠٠، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ص١١٦٤، برقم٢٦٧٣، واللفظ للبخاري.

بِالْعُلَمَاءِ، كُلَّمَا ذَهَبَ بِعَالِمٍ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَيَضِلُّوْا وَيُضَلُّوْا»[1].

ومعنى الحديث أنَّ الله تعالى لا يقبض العلمَ من بين ظَهْرَانِي عباده في الدنيا على سبيل رفعه إلى السماء، أو محوِه من صدور العباد؛ بل يرفعه بموت حَمَلَة العلم، وقبضِ أرواح العلماء، وبذلك لا يبقى سِوى الْجَهَلَة، فيتّخذهم الناسُ رؤوساً في العلم بحيث يرجعون إليهم في أمور دينهم ومسائل شرعهم، فيَضِلّون ويُضَلّون.

٢) وعن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا»[2].

وفي هذا الحديث يُخبِر رسول الله ﷺ أنَّ من علامات الساعة وأماراتها: رفعُ العلم وقبضُه، وفشوُّ الجهل وثباتُه، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على ظهور "التَّعالُم" وانتشاره في آخر الزَّمان قُرْب يوم القيامة.

٣) وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ والفِتَنُ، ويَكْثُرُ الْهَرْجُ"، قيل: يا رسول الله! وما الْهَرْجُ؟ فقال (أي الرَّاوي): "هكذا بيده فحَرَّفها، كأنه يُريد القَتْلَ"[3]، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَقُوْمَ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أُمَّتِيْ ثَلاَثُوْنَ دَجَّالاً، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُوْلُ اللهِ!، وحَتَّى يُقْبَضَ الْمَالُ، وَيُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قالوا: وما الهرجُ؟؛ قال: «القَتْلُ القَتْلُ»[4].

---

[1] أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب العلم، باب كيف يُرفَع العلم، ج٢، ص٩١٢،، برقم (٥٨٧٦)، وعبد الرزاق الصنعاني، في المصنَّف، تحقيق: ج١١، ص٢٥٤، برقم (٢٠٤٧١)، وأحمد في المسند، ج١١، ص٤٩٨، برقم (٦٨٩٦)، وقال محققه الشيخ شعيب الأرناؤط: "إسناده صحيح على شرط الصحيحين".

[2] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ص٣٣، برقم (٨٠)، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، ص١١٦٢، برقم (٢٦٧١).

[3] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ص٣٤، برقم (٨٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ص١٢٥٠، برقم (٢٨٨٨)، واللفظ للبخاري.

[4] أخرجه أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب خبر ابن الصائد، ص٦٠٩،، برقم (٤٣٣٣)، وابن ماجه في السنن، أبواب الفتن، باب أشراط الساعة، ص٥٨٤، برقم (٤٠٤٧)، وأحمد في المسند، ج١٥،

وهنا كذلك يُنبئنا رسولُ الله ﷺ في معرض حديثه عن أشراط الساعة وعلاماته بقبض العلم، وظهورِ الجهل والفِتَن، وقد قَرَن – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – بين الجهل والفِتَن، مما يدلّ على أنَّ "التَّعالُم" من الفِتَن العظيمة التي تُبتَلى بها الأمةُ وتُصاب؛ وذلك حين يَقِلّ العلمُ ويَكثُر الجهلُ.

٤) وعن أبي أُمَيَّة الْجُمَحِي ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أشراط السَّاعة، فقال: «إنَّ مِنْ أَشْرَاطِهَا: أنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ»[١].

وهنا يُجيب الرسولُ ﷺ حينما سُئل عن علامات الساعة: أنَّ من علاماته أن يُطلَب العلمُ عند أسافل الناس وأراذلهم من أصحاب الفِسْق والفجور، ومرتكبي المعاصي والذنوب، فأيُّ فتنةٍ أعظَمُ من هذه الفتنة!

٥) وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَعَلَّمُوْا العِلْمَ لِتُبَاهُوْا بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِتُمَارُوْا بِهِ السُّفَهَاءَ ولاَ تَخَيَّرُوْا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ»[٢].

وفي هذا الحديث نهيٌ صريحٌ من رسول الله ﷺ عن طلب العلم لأجل الأغراض الدنيوية الزائلة، والأهداف النفسانية المذمومة، من طلبِ الفخر والمباهاة، أو مجاراةِ الْحُمْقَى والسفهاء، أو نيلِ الشهرة، وتصدُّرِ المجالس، ومَن فعل ذلك فقد تَوعَّده رسول الله ﷺ بدخول النار يومَ القيامة، والعِياذُ بالله تعالى.

ص٥٠٧، برقم (٩٨١٧)، وهو حديث صحيح، انظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج٣، ص٣٢٥، برقم (٣٢٨٧).

[١] أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد، ص٢١، برقم (٦١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٤٩٥، وهو حديث صحيح، قاله محمد ناصر الدين الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج٢، ص٢٤٣، رقم الحديث (٢٢٠٣).

[٢] أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ص٣٩، برقم (٢٥٤)، وابن احبان في الصحيح، ص٢٧٨، ٢٧٩، برقم (٧٧)، والحاكم في المستدرك، ج١، ص١٦١، برقم (٢٩٠)، كلهم عن جابر بن عبد الله ﷺ، وهو حديث صحيح. انظر الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج١، ص١٠٠، برقم (٢٠٧).

٦) وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَيَكُوْنَ فِي آخِرِ أُمَّتِيْ أُنَاسٌ يُحَدِّثُوْنَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوْا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ، وَإِيَّاهُمْ»[١].

وفي روايةٍ أخرى عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِيْ، إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حِوَارِيُّوْنَ[٢] وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُوْنَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُوْنَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوْفٌ، يَقُوْلُوْنَ مَا لاَ يَفْعَلُوْنَ، وَيَفْعَلُوْنَ مَا لاَ يُؤْمَرُوْنَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوْ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ"[٣].

وفي روايةٍ أخرى كذلك عن جابر بن سَمُرَة ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِيْنَ»، قال سَماك: سمعتُ أخي - وكان أقرَبَ إليه مني - يقول: قال جابر: «فَاحْذَرُوْهُمْ»[٤].

وفي هذه الأحاديث الثلاثة بيانٌ لصفات أولئك الذين سيظهرون في آخر الأمة المحمدية - وذلك قُرْب السَّاعة حين تبرز الفِتَنُ وتَظهَر الْمِحَنُ - إذ أنَّ من صفاتهم الإتيانُ بغرائب الأحاديث وعجائبها، من التي ليست مما لم يَزَلْ يعرفه المسلمون خلفاً عن سلفٍ. كما أنَّ من صفاتهم أنهم يقولون ما لا يفعلون، وقد كَبُر ذلك مقتاً عند الله تعالى، ويفعلون ما لا يُؤمَرون من الأمور المبتدَعة، والعقائد الباطلة، والأهواء الفاسدة. كما أنَّ من صفاتهم كذلك الكذبُ والادِّعاء، وقولُ الزّور والباطل، وكلُّ هذا يقع - في الحقيقة - بسبب نقصان العلم وقلةِ أهله، وفشوُّ الجهل وكثرةُ أهله.

المطلب الخامس: أقوال الصحابة والتابعين وبعض قدامى العلماء والمعاصرين في "التَّعالُم":

وقد استنكر جمعٌ من الصحابة والتابعين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - ما ظهر في عصورهم الْخِيَرَة من مظاهر الغِشِّ والادِّعاء، والكذب والزُّوْر، ولهم في الإنكار على ذلك أقوالٌ بليغةٌ، ومن ذلك:

---

[١] أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، ص٩، برقم (٦).

[٢] الحواري: هو الناصر للرجل والمختص به، والمعين، والمصافي. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٤٤٩.

[٣] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ص٤٢، برقم (٥٠).

[٤] أخرجه أحمد في المسند، ج٣٤، ص٤١٤، برقم (٢٠٨١٩)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "حديث صحيح".

(أ) من أقوال الصحابة والتابعين:

وخير من نبدأ بذكره بعض أقوال الصحابة والتابعين:

١) قال عمر بن الخطاب ﷺ: "من تزيَّن بما ليس فيه؛ شانَه اللهُ"[١].

٢) وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "لا يزال الناسُ بخير ما أخذوا العلمَ عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشِرارهم؛ هلكوا"[٢].

٣) وقال الإمام عامر بن شَراحيل الشَّعْبِي رحمه الله: "ما حدَّثوك عن أصحاب محمد ﷺ، فشُدّ عليه يَدَك، وما حدَّثوك من رأيهم فبُلْ عليه"[٣].

٤) وقال الإمام الأوزاعي[٤] رحمه الله: "العلمُ ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن واحدٍ منهم؛ فليس بعلمٍ"[٥].

٥) وقال الحافظ الفقيه مَكْحُول الشَّامي[٦] رحمه الله: "تفقُّهُ الرَّعَاعِ فسادُ الدين، وتفقُّهُ السَّفِلَةِ فسادُ الدنيا"[٧].

ويعني بـ"الرَّعَاع" غوغاء الناس، وسُقّاطهم وأخلاطهم، ويعني بـ"السَّفِلة" أسافلهم، وهم نقيض: أعالي الناس كالعلماء وغيرهم[٨].

---

[١] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٣٦٢. وقال – رحمه الله تعالى – بعد إيراد هذا القول: "هذا شقيقُ كلام النبوة، وهو جديرٌ بأن يخرج من مشكاة المحدَّث الملهَم...، فإنَّ العبد إذا خلصت نيته لله تعالى وكان قصده وهمّه وعمله لوجهه ﷻ؛ كان الله معه، فإنه سبحانه مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، ورأسُ التقوى والإحسان: خلوص النية لله في إقامة الحقِّ...".

[٢] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ٤٨٩.

[٣] المرجع السابق: ج١، ٥٠٠.

[٤] هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمِد، أبو عمرو الأوزاعي (٨٨ – ١٥٧هـ): المحدِّث الفقيه، إمام الديار الشَّامية في الفقه والزهد. وُلد بـ"بَعَلْبَكْ" وتوفي بـ"بيروت". رحل في طلب العلم إلى العراق والحجاز، وسمع جماعات من التابعين. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٨.

[٥] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ٥٠٠.

[٦] هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الشامي (ت١١٢هـ): من حفاظ الحديث، وفقهاء الشام، أصله من فارس، وُلد في كابُل. رحل في طلب الحديث وطاف كثيراً من البلدان، واستقرَّ في دمشق وتوفي بها. لم يكن في زمانه أبصرَ منه بالفتيا. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٧، ١٠٨.

[٧] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ٥٠٢.

[٨] انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٦٦٦، و٧٨٤.

٦) وقال الحافظ الفِرْيابي[١] رحمه الله: "كان سفيان[٢] إذا رأى هؤلاء النَّبَط[٣] يكتبون العلم يتغيَّر وجهه، فقلتُ له: يا أبا عبد الله! نراك إذا رأيتَ هؤلاء يكتبون العلم يشتدّ عليك!، فقال: كان العلمُ في العرب وفي سادة الناس، فإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاء – يعني النَّبَط والسَّفِلَة – غُيِّر الدينُ"[٤].

ويعني هذا: أنَّ العلم الشرعي – ومنه حديثُ رسول الله ﷺ – إذا صار إلى أناسٍ ليس لهم كَرَمُ أصلٍ ولا نُبُلُ طبعٍ؛ فربما لا يقدِّرون شرف هذا العلم، فيُذِلُّونه بذلّة نفوسهم، ويتقرَّبون به إلى أهل الدنيا بالتحريف والتأويل على الوجه الذي يناسبهم.

(ب) من أقوال قدامى العلماء:

وسَيْراً على نهج الصحابة والتابعين – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – في الإنكار على أهل الكذب والباطل؛ لم يقف علماؤنا الربانيون مكتوفِي الأيدي أمام هذا السَّيْل الجرَّار؛ بل قام كلُّ واحدٍ منهم بفريضة الرَّدِّ والإنكار حسب وُسْعِه وطاقته، ومن جميل ما تفوَّه به علماء الإسلام وأئمته الكرام في "التَّعالُم" ما يلي:

١) قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "فالواجبُ على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا، وقد تكلَّم في العلم مَن لو أمسك عن بعض ما تكلّم فيه منه لكان الإمساكُ أَوْلَى به، وأقرَبَ من السلامة له إن شاء الله"[٥].

---

[١] هو محمد بن يوسف بن واقد الضَّبِي – بالولاء – أبو عبد الله الفِرْيابي (١٢٠ – ٢١٢هـ): من حفاظ الحديث، أخذ عن سفيان الثوري، وروى عنه الإمام البخاري، توفي بقيسارية في فلسطين. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٣٧٦.

[٢] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري التميمي، أبو عبد الله (٩٧ – ١٦١هـ): شيخُ الإسلام، وإمامُ الحفَّاظ، وأمير المؤمنين في الحديث. وُلد بالكوفة وتوفي بالبصرة. وكان آيةً في الحفظ. له من الكتب: "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير" كلاهما في الحديث. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٢٠٣، ٢٠٧.

[٣] "النَّبَط: جمعُه: "الأنباط"، وهم المشتغلون بالزراعة، وقيل: هم أخلاط الناس من غير العرب. (انظر: "المعجم الوسيط"، ص٨٩٨، مادة: نبط).

[٤] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ٥٠٢.

[٥] محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص٤١.

١) وقال الحافظ عثمان بن خُرَّزاذ[١] رحمه الله: "يحتاج صاحبُ الحديث إلى خمسةٍ، فإنْ عُدمت واحدةٌ فهي نقصٌ، يحتاج إلى: عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تُعرَف منه"[٢].

وهذا حالُ مَن شرَّفه اللهُ بالعلم، ومهما نقصت فهي نقصانٌ لكماله، فكيف إذا عُدِمَ جلُّها، بل كلُّها، وهذا حالُ "الْمُتعالِم" المتشبِّع بما لم يُعط، فلا عقلَ جَيِّدٌ، ولا ضميرَ حَيٌّ، ولا دينَ ولا أمانةَ، ولا ضبطَ ولا حِذْقَ بالصناعة، لكنه استغفالٌ بل استحمارٌ لعقول العوام لإضلالهم وإفسادهم، ومثلُ هذا إذا وَلَج في قنوات العلوم والمعارف؛ فأضحى يدرِّس ويعلِّم، والأدهى من ذلك وأمرّ، صار يؤلِّف ويحقِّق؛ فلا نَملِك إلا أن نقول له:

فدَعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ولو سَوَّدْتَ وجهَك بالْمِداد

٢) وقال الإمام ابن حزم[٣] رحمه الله تعالى: "لا آفة على العلوم وأهلها أضرَّ من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يَجهلُون، ويظنّون أنهم يعلمون، ويُفسدون ويقدِّرون أنهم يُصلِحون"[٤].

٣) وقال الإمام النَّوَوِي[٥] رحمه الله: "وليَحذَر كُلَّ الحذرِ أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهَّل له، فإنَّ ذلك يَضُرُّه في دينه، وعلمه، وعِرضه"[٦].

---

[١] هو عثمان بن عبد الله بن محمد بن خُرَّزاذ البصري ثم الأنطاكي أبو عمرو (ت٢٨١هـ): الحافظ الحجة محدِّث أنطاكية. توفي بأنطاكية. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٦٢٣، ٦٢٤.

[٢] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٣٨٠.

[٣] هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم الظَّاهري (٣٨٤ - ٤٥٦هـ): عالِمُ الأندلس في عصره، وأحدُ أئمة الإسلام. وُلد في "قُرْطُبة" وتوفي في بادية "لَبْلَة" من بلاد الأندلس. كان شافعيَّ الفقه، فانتقل منه إلى "الظاهرية". وكان ينادي بالتمسُّك بالكتاب والسُّنّة، وإجماع الصحابة، ورفض ما عدا ذلك في دين الله. ومن أهمّ مؤلَّفاته: "المحلَّى". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٤٦، ١١٥٤.

[٤] ابن حزم الظاهري، كتاب الأخلاق والسير ومداواة النفوس، ص٦٧.

[٥] هو يحيى بن شرف بن مرِّي النووي، محيي الدين، أبو زكريا الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦هـ): أحد أشهر فقهاء السنة ومحدّثيهم. وُلد في قرية "نوى" في حوران بسوريا وتوفي بها. وله مؤلفات كثيرة، ومن أشهرها في الحديث: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، و"رياض الصالحين"، و"الأربعون النووية"، وغيرها. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٧٠-١٤٧٤.

[٦] النووي، المجموع شرح المهذب، ج١، ص٥٦.

٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله تعالى: "ولا يَحِلّ لأحدٍ أن يتكلَّم في الدين بلا علمٍ، ولا يُعيَّن مَن تكلَّم في الدين بلا علمٍ، أو أَدخَل في الدين ما ليس منه"[٢].

وقال كذلك: "فمن تكلَّم بجهلٍ وبما يخالف الأئمةَ، فإنه يُنهَى عن ذلك، ويُؤدَّب على الإصرار، كما يُفعَل بأمثاله من الْجُهَّال، ولا يُقتَدى في خلاف الشريعة بأحدٍ من أئمة الضَّلالة، وإن كان مشهوراً عنه العلم، كما قال بعض السَّلَف: لا تنظر إلى عمل الفقيه، ولكن سَلْه يَصدُقك"[٣].

٥) وقال الإمام ابن جَمَاعة[٤] رحمه الله: "أمَّا مَن لا يتأهَّل لذلك – أي للتأليف والتصنيف – فالإنكارُ عليه مُتَّجِهٌ، لِما يتضمَّنه من الجهل وتغرير مَن يقف على ذلك التصنيف به، ولكونه يضيع زمانه فيما لم يُتقِنه، ويدع الإتقانَ الذي هو أحرى به منه"[٥].

(جـــ) ومن أقوال العلماء المعاصرين:

وبالنسبة لعلمائنا المعاصرين من أهل العلم والدين فلهم في علاج هذه الظاهرة القِدْحُ الْمُعَلَّى والموقفُ المشرَّفُ الْمُجَلَّى، فلا زالتْ أقلامهم تكتب السطورَ تلو السطور، وتملأ الأوراقَ تتبع الأوراقَ في محاربة هذه الظاهرة السيئة، المسيئة لدين الإسلام وتراث المسلمين، ولا زالتْ كتاباتُهم وتأليفاتُهم تتوارد بين يدي أهل العلم مُثلِجَةً صدورهم مُقِرَّةً أعينهم، فلا خابَتْ

---

[١] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيمية الحرَّاني، أبو العبَّاس، تقيّ الدين، الشهير بـ"ابن تيمية" (٦٦١ – ٧٢٨هـ): الإمام المحدِّث، المجتهد المطلَق، الملقَّب بـ"شيخ الإسلام". وُلد في "حَرَّان" وتوفي بـ"دمشق". طلب العلمَ على أيدي علماء دمشق منذ صغره، وعُني بالحديث عنايةً خاصة. وله مؤلَّفات كثيرة. انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٩٤، ١٠٢.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٢، ص٢٤٠.

[٣] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٢، ص٢٢٧.

[٤] هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جَمَاعة الكِناني الْحَمَوي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله (٦٣٩ – ٧٣٣هـ): قاض، ومن علماء الحديث. وُلد في حماة. وَلِي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر والشام. كان من خيار القضاة. وتوفي بمصر. له تصانيف، منها "المنهل الروي في الحديث النبوي"، و"تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالِم والمتعلِّم"، وغيرهما. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٩٧.

[٥] ابن جماعة الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص٥٥.

جهودهم ولا ضاعَتْ مساعيهم، بل كُلِّلَتْ بعظيم النتائج وباهرِ الثِّمار، ومما جاء عنهم في إنكار هذه الظاهرة، من أقوالٍ بديعةٍ بليغةٍ ورد فيها لفظُ "التَّعالُم" صراحةً، هي:

١) قال المفكِّر الإسلامي الشهير **الأستاذ مالك بن نبي**[١]: "والحقيقةُ أننا قبل خمسين عاماً كنا نعرف مرضاً واحداً يُمكِن علاجه، هو الجهلُ والأُمِّية، ولكننا اليوم أصبحنا نرى مرضاً جديداً مستعصياً هو: التَّعالُم، وإنْ شئت فقل: الحِرفية في التعلُّم، والصعوبةُ كلّ الصعوبةِ في مداواته"[٢].

٢) وقال العلامة الجليل الأستاذ المربِّي المؤلِّف المحقِّق **الشيخ عبد الفتّاح أبو غُدَّة**[٣]: "وكثيرٌ من الْمُتعالِمين في هذا الزمان يتساهل في النقل عن الكتب، دون عَزْوٍ، مُوهِماً القارئَ أنَّ ما يُورِده هو من بنات أفكاره، وسَهْرِ أسحارِه، ومنهم مَن بلغتْ به الجرأةُ أن ينتحل الكتبَ والمواضيعَ بزعم أنَّ العلم مُشَاعٌ، فخالَفَ بذلك أمانةَ العلم والدين، إذ الكتابُ حقٌّ لمؤلِّفه لا ينبغي أن يعتدي عليه أحدٌ"[٤].

٣) وقال المحدِّث الفقيه، العالِم النَّبيه، **الشيخ محمد عَوَّامة**[٥]: "إنَّ جُلَّ المشتغلين الآن في البحث والتأليف والتحقيق هم من غير الدارسين للعلم، المتلقِّين له في المدارس والمعاهد الشرعية؛

---

[١] هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (١٣٢٣ - ١٣٩٣هـ): أحد طليعة المفكِّرين والكُتَّاب الإسلاميين. وُلد في مدينة "تبسة" في أقصى شرق الجزائر. سافر إلى فرنسا ودرس هناك في معهد الدراسات الشرقية. عمل مديراً عاماً للتعليم العالي في الجزائر. وله العديد من المؤلَّفات، ومنها: "الظاهرة القرآنية"، و"شروط النهضة وجهة العالم الإسلامي". انظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٦٦.

[٢] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص١٩٠.

[٣] هو عبد الفتاح أبو غُدَّة بن محمد بن بشير الحلبي (١٣٣٦-١٤١٥هـ): العالم الجليل، العلامة الكبير، المحقِّق المؤلِّف. وُلد في مدينة "حلب" بسورية، تخرَّج في كلية الشريعة بجامعة الأزهر بمصر. انتدب للتدريس في كلية الشريعة في جامعة دمشق، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض. توفي بالرياض. وله مؤلَّفات بديعة وتحقيقات رائعة لكتب الحديث وغيره. انظر لترجمته: نزار أباظة، إتمام الأعلام، ص١٦١، ١٦٢.

[٤] عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، ص١٧، ١٨.

[٥] هو محمد عوامة (من مواليد عام ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م): العلامة المحقِّق، وأحد أعلام التحقيق في العصر الحاضر. وُلد في حلب في سورية. لازم أيامَ طلبِه للعلم الشيخَ عبد الفتاح أبو غُدَّه وتتلمذ عليه. التحق بكلية الشريعة

بل هم من المتطفِّلين على موائده، الْمُتعالِمين على أهله، وزيادةً على ذلك فإنَّ وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة صارتْ لهم أبواقاً تَرفَع أصواتَهم أمام أهل العلم الصّامِتين، إلاَّ عن قولهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل، ويا ليت قومي يعلمون!!"[١].

٤) وقال العالِم الجليل، الفاضل النبيل، **الشيخ صالح بن فوزان الفوزان**[٢]: "الواجبُ على شباب الأمةِ: الحذرُ من هؤلاء الْمُتعالِمين، والحرصُ على تلقِّي العلمِ عن العلماء العاملين، والرجوعُ إليهم في حلِّ مشكلاتهم؛ فإنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وقد ميَّزهم اللهُ تعالى عن غيرهم بالعلم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. كما أنه يجب ألا يُمكَّن من التدريس والإفتاء إلا مَن عُرِفَ بالعلم، وعُرِفَ مِن أين تلقَّى العلمَ"[٣].

٥) وقال العالِم الفاضل **الشيخ محمد خلف سلامة**: "والتَّعالُم آفةٌ، شديدٌ خطرُها، عظيمٌ فَتْكُها، إنها إحدى كبار المصيبات التي صُبَّتْ على هذه الأمةِ، ودام بقاؤها في تَزايُدٍ، وإحدى الفِتَن التي يَصعُب تقليلُ شرِّها وضَرَرِها على الأمة على رغم ما يبذله من أجل ذلك كلُّ عاملٍ من العلماء وكلُّ حكيمٍ من الدعاة، وكلُّ مصلحٍ مجاهدٍ"[٤].

وما أصدَقَ ما تفوَّه به الشاعرُ لله درُّه إذْ قال في وصف "الْمُتعالِم":

وغيرُ تقيٍّ يأمر الناسَ بالتُّقَى طبيبٌ يُداوي الناسَ وهو عليلُ!

بجامعة دمشق وتخرَّج فيها بشهادة الليسانس. هاجر إلى السعودية حيث لم يزل مقيماً فيها، وأسَّس بالمدينة المنورة مركز البحث العلمي. ومن مؤلفاته: "أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء"، ومن تحقيقاته لكتب الحديث: "المصنَّف" للإمام ابن أبي شيبة، و"السنن" للإمام أبي داود، و"تقريب التهذيب" للحافظ ابن حجر. انظر ترجمته في موقع "الإثنينية" www.alithnainya.com/tocs/default.

[١] محمد عوامة، مَعالِم إرشادية لصناعة طالب العلم، ص٢٦.

[٢] سبقت ترجمته في المطلب الأول من المبحث الأول في هامش المطلب الأول من المبحث الثاني للفصل الثاني.

[٣] صالح بن فوزان الفوزان، التعالُم وآثاره الخطيرة على الأمة، انظره على موقع "شبكة سحاب السلفية" http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=١١٩٦٩٠

[٤] محمد خلف سلامة،لسان المحدِّثين، وهو كتاب إلكتروني، انظره في موقع "صيد الفوائد" http://www.saaid.net/book/open.php?cat=٩١&book=٣٥١٦

وبهذا أكون قد وصلتُ إلى خِتام هذا المبحث الذي خصّصتُه لبيان مفهوم "التَّعالُم" وتعريفه لغةً واصطلاحاً، كما تحدّثتُ فيه عما يتعلَّق بوُروده في آي القرآن العظيم، وفي حديث الرسول الكريم عليه أفضَلُ الصَّلاة وأتَمُّ التسليم، كذا ما جاء عن ذكره وبيانِه لدى الأئمة والعلماء الربانيين في قديم الزَّمان وحاضرِه الأليم.

المبحث الثاني: مظاهر "التَّعالُم":

إنَّ أبرز المجالات التي ظهر فيها "التَّعالُمُ" وأضحى داءاً مستشرياً فيها – بل عكَّر صفوَها، وكدَّر صفاءَها، وأفسد نقاوتَها، وأذهب حلاوتَها – هي: مجالات العلم وقنوات المعرفة، وهي أرفع المجالات وأسماها، وأقوى القنوات وأرقاها في بِقاع الإسلام لدى المسلمين، وهي القنواتُ المتعلقة بالتدريس والتعليم، والتأليف والتحقيق، والقضاء والإفتاء، وها هو بيانُ كيفية ظهور "التَّعالُم" في هذه القنوات الهامَّة جداً، وسريانُه فيها سريان النار في الهشيم، وما جاء في ذلك من أحاديث نبوية وآثار سَنِيّة. وسوف أقوم – بإذن الله تعالى – بتوضيح ذلك كلِّه في ثلاثة مطالب، أولها يختصّ بـ"التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال التدريس والوعظ والإرشاد، وثانيها يختصّ بـ"التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال النشر والتأليف والتحقيق، بينما الأخير فيختصّ بـ"التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال القضاء والإفتاء.

المطلب الأول: "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال التدريس والوعظ والإرشاد:

ليس كلّ من تصدَّى لتدريس شريعة الله، وعلوم النُّبُوَّة – في الحقيقة – أهلاً لهذه المرتبة العظمى والمنْزلة العُلى، سواء من ناحية التأهُّلِ العلمي والتفوُّق الذاتي، أو من ناحية التحلِّي بالأمانة والتُّقَى، وخشيةِ المولى جلَّ وعلا، وتطبيقِ شرع الله على نفسه أولاً ثم مناصحةِ أهله وذويه ثانياً.

فنجد المدرِّسَ الْمُتعالِم مُزْجَى البضاعة في العلم، مُفْلِسَ الفهم والحفظ، حتى فيما يتعلَّق بتخصُّصه وما يقوم بتدريسه – خزينته أصفار، وخِزانته بلا أسفار[1] – ثم يدَّعي دعاوى عريضةً، ويتطاول في العلم وعلى أهل العلم، وكم منهم من يتعلَّق بعلوم القرآن والسُّنَّة وهو متمسِّكٌ بنواقض علوم القرآن والسُّنَّة، سواء في الهيئة والْحِلْيَة، أو في الأخلاق والسلوك، أو في العبادة والعمل، وخيرُ ما يمكن أن نصف به أمثالَ هؤلاء بقول القائل لله درّه:

---

[1] بكر بن عبد الله أبو زيد، التَّعالُم وأثره على الفكر والكتاب، ص٨٠.

وَصَفْتَ التُّقَى حتى كأنَّكَ ذو تُقَى ورِيْحُ الخطايا من ثيابك تَسْطَعُ[١]

وإنَّ هذه – والله – لفتنة عظيمة، وبلية جسيمة، نبَّأنا بها رسولُ الله ﷺ، ومما جاء فيها من أحاديث ما يلي:

١) عن أبي أُمَيَّة الْجُمَحي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلاَثًا: إِحْدَاهُنَّ: أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ...**»[٢].

وقد سُئل الإمام عبد الله ابن المبارك[٣] عن الأصاغر؟ فقال: "الذين يقولون برأيهم، فأما صغيرٌ يروي عنه كبيرٌ؛ فليس بصغير".

وقال في ذلك أيضاً: "أتاهم العلمُ من قِبَل أصاغرهم؛ يعني: أهل البِدَع"[٤].

وأُثِرَ عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنه قال: "إنَّ الناسَ لم يَزالُوا بخيرٍ، ما أتاهم العلمُ عن أكابرهم"[٥].

وقال عبد الله بن مسعودٍ ﷺ: "لا يَزالُ الناسُ بخيرٍ ما أَخَذُوا العلمَ عن أكابرهم، فإذا أَخَذُوا عن أصاغِرهم وشِرَارِهم؛ هَلَكُوا"[٦].

وعنه أيضاً قال: "لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما أتاهم العلمُ من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلمُ من قِبَل أصاغرهم، وتفرَّقت أهواؤهم؛ هلكوا"[٧].

---

[١] وهو منسوب إلى إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد العيني، المعروف بأبي العَتَاهِية (١٣٠ – ٢١١هـ)، أحد الشعراء الْمُكثِرين سريع الخاطر، شعرُه في الحكمة والعظة. وُلد في "عين التمر" بقرب الكوفة وتوفي في بغداد. انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص٣٢١. لكني لم أجد هذا البيتَ في ديوانه.

[٢] سبق تخريجه في هذا الفصل في هامش الملطب الرابع للمبحث الأول المعنون بـ"مفهوم التعالم".

[٣] هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، أبو عبد الرحمن: (١١٨ – ١٨١هـ): الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمرَه في الأسفار حاجّاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديثَ والفقه. كان من سكان خراسان. توفي وهو ينصرف من غزو الروم. ومن كتبه: "الجهاد"، و"الرقائق". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٢٧٤، ٢٧٥.

[٤] عبد الله بن ا لمبارك، كتاب الزهد، انظر حاشية صفحة٣١.

[٥] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٤٩٨.

[٦] المرجع السابق، ج١، ص٤٩٨.

[٧] عبد الله المبارك، كتاب الزهد، ص٢٨١، برقم (٨١٥).

٢) وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيَكُوْنُ فِيْ آخِرِ أُمَّتِيْ أُنَاسٌ يُحَدِّثُوْنَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوْا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**"[١].

ومعنى الحديث: أنه سيكون في آخر الزَّمان أناسٌ من أمة رسول الله ﷺ يزعمون أنهم هم العلماء، يحدِّثون الناس بما لم يسمعوا به هم، ولا آباؤهم من الأحاديث الكاذبة والأحكام المبتدعة والعقائد الزائفة، كما أنهم يقولون ويروون أشياء ليست فيما لم يزل يعرفه المسلمون خلفاً عن سلفٍ، مع أنَّ الله تعالى قد أكمل دينَه، ووعد بحفظه ونشره، ولم يترك سبيلاً إلى ضياع جزءٍ من أجزائه، فأين كانت هذه الغرائبُ في القرون الأُوَل من سلف هذه الأمةِ؟.

ومعنى قوله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»، أي احْذَرُوهم، وأَبْعِدوا أنفسكم عنهم، وأَبْعِدوهم عن أنفسكم، ويشتمل هذا كلَّ الذين يرتادون المنابر المتنوّعة، وتصل أصواتُهم عبرها للجماهير، والحقُّ أن هؤلاء كثيرون جداً، ويبلِّغون رسالاتهم عبر منابر المساجد والإذاعات والتِّلفاز والإنترنيت والندوات والمحاضرات، والصُّحُف والمجلاَّت والكتب.

وإذا كان هؤلاء قد اتَّخذوا هذه المنابر للدعوة إلى الأفكار الضالَّة، والمذاهب المنحرفة، فهم الدعاةُ إلى أبواب جهنّم، فينبغي على أهل العلم والحقِّ تبيينُ حالِهم وتوضيحُ أمرِهم للمسلمين تحصيناً لأبنائهم، ووِقايةً لنشئهم وذُرِّيّاتهم، من ضلالات هؤلاء وانحرافاتهم[٢].

وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى أنَّ العلم لا ينبغي إلا أن يُتلقَّى عن ثقةٍ عُرِفَ بالحفظ والضبط، وشُهِرَ بالصِّدْق والأمانة، وهذا عَلَمٌ من أعلام نُبُوَّة النبي ﷺ، ومعجزةٌ من معجزاته، فقد وقع ما تنبَّأ به رسول الله ﷺ، وظهر الكثيرُ من الكذّابين والجَهَلة أدعياء الدين[٣]، سلَّمنا اللهُ والمسلمين أجمعين.

---

[١] أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، ص٩، برقم (١٥).

[٢] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ص٤٥٦، بتصرف واختصار.

[٣] انظر: همام عبد الرحيم سعيد، موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، ص٤٨٤.

٣) وعن عامر بن سعد ﷺ قال: سألتُ جابر بن سَمُرة عن حديث رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ الدِّيْنُ قَائِماً حَتَّى يَكُوْنَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيْفَةً مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ كَذَّابُوْنَ بَيْنَ يَدِى السَّاعَةِ...**»[١].

ومعنى هذا الحديث: أنَّ من أشراط الساعة وعلاماتِها، وقُرْبِ القيامة وأماراتِها؛ حدوثُ الكثيرِ من الفِتَن والبلايا التي تنبَّأ رسول الله ﷺ بظهورها وفُشُوِّها، ومن ذلك ظهورُ الكذَّابين، ومنهم الجَهَلَة الأدعياء الذين يدّعون العلم ويُخْفُون الجهل، ويأتون بالموضوعات من الأحاديث النبوية، وبذلك يَفترُون على رسول الله ﷺ، ويتقوّلونه – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – ما لم يَقُلْ، ويقولون على الله ما لا يعلمون، وغير ذلك من الصفات المذمومة الناتجة عن قِلَّة العلم وكثرةِ الجهل، ثم ومع هذا كله يتصدرّون المجالس، ويتربّعون على كراسي التعليم والإرشاد، إضلالاً للأمة وتضليلاً لها.

وقد نبَّه رسول الله ﷺ إلى ظهور هؤلاء تحذيراً لأمته – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – من فتنتهم، والوقوعِ في حِبال أكاذيبهم، وشِبَاكِ مكايدهم ومصايدهم[٢].

وفي رواية أخرى عن جابر بن سَمُرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ بَيْنَ يَدِي السَّاعَةِ كَذَّابِيْنَ**»، زاد في حديث أبي الأحوص، قال: فقلتُ له: آنتَ سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم[٣].

والمرادُ بظهور الكذب وفُشُوِّه: كثرةَ الجهل وقِلَّةَ العلم. والمراد بهؤلاء الكذّابين: ظهور جماعةٍ من الكذّابين يَدعُون الناسَ إلى أهواء فاسدة، مُسندِين اعتقاداتهم الباطلة إلى رسول الله ﷺ كأهل البدَع المضلّة، والمذاهب المنحرفة الباطلة[٤].

وجميعُ هذه الأحاديث تدلّ دلالةً ظاهرةً على انتشار الكذب والسَّفَهِ والطَّيْش والحُمْق في المجتمع المسلم رُوَيْداً رُوَيْداً، وبدأ يزداد ظهوره طولاً وعرضاً، حتى استشرى داؤه، وطغى بلاؤه على منابع العلم ومنابر الفضيلة.

---

[١] أخرجه أحمد في المسند، ج٣٤، ص٤٠١، برقم (٢٠٨٠٥)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "حديث صحيح".

[٢] للمزيد انظر: محمد تقي العثماني، تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج٥، ١٧٤.

[٣] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، ص١٢٦٤، برقم (٢٩٣٢).

[٤] انظر: محمد تقي العثماني، تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج٥، ١٧٤.

وهذا مِن أسوأ مظاهر السَّفَهِ وأخطرِها، حيث تُقتَل الكفاياتُ وتَزوِي المواهبُ، وتَضِيع الجهودُ، وتُصبِح الكلمةُ للقادرين على التزلُّف، والساعين وراء مآربهم، وبذلك يتصدَّر المجالسَ أصحابُ الحناجر والمباخر، ويعلو السَّفَلَةُ والإمّعات[١].

٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ – أو يُوْشِكُ أنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ – يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيْهِ غَرْبَلَةً؛ تَبْقَى حُثَالَةٌ[٢] مِنَ النَّاسِ؛ قَدْ مَرِجَتْ عُهُوْدُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوْا فَكَانُوْا هَكَذَا**» وشبَّك بين أصابعه –[٣].

ومعنى الحديث: قوله ﷺ: «يُغَرْبَل النَّاس» أي: أن يذهب خِيارهم، ويبقى شِرارهم وأراذلهم، كأنه نُقِّيَ بالغِرْبال، ويبقى بمقابلهم حُثَالَةُ الناس وهم أسافلهم وأصاغرهم ممن اختلطتْ وفَسُدَتْ عهودهم وأماناتهم، فلا يكون أمرُهم سويّاً مستقيماً، بل هم في كل حينٍ على طبعٍ متنوِّعٍ، وعلى عهدٍ مختلفٍ متناقضٍ، يَنقُضون العهود ويَخُونون الأمانات، ومن صفاتهم كذلك أنهم يَمُوجون بعضهم ببعض فلا يُفرَّق فيهم بين الأمين من الخائن، والبَرِّ من الفاجر[٤].

وذهابُ الصالحين يكون عند كثرة المعاصي، وتركِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر؛ فإنَّ الصالحين إذا رأوا المنكَر ولم يغيِّروه، وكَثُر الفساد؛ عَمَّهم العذابُ مع غيرهم إذا نزل[٥]؛ كما جاء في الحديث لَمّا قيل للنبي ﷺ: أنَهلِك وفينا الصَّالِحون؟ قال: «نَعَمْ! إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[٦].

---

[١] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٢، ص٣٣٢.

[٢] الحثالة: ما سقط من قِشر الشعير والأرز والتمر، والرديئ من كل شيء. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٣٣٢).

[٣] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ص٦١٠، برقم (٤٣٤٢)، وهو حديث صحيح، انظر: الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص٣٦، برقم (٤٣٤٢).

[٤] انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١١، ص٣٣٤.

[٥] يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراط الساعة، ص١٧٨.

[٦] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ص١٢٨٢، برقم (٧٠٥٩).

وذهابُ العلماء والأخيار والصالحين، وقِلَّتُهم، وكثرةُ الفَسَقَة الفُجّار، والكَذَبَة الأشرار، حتى لا يبقى على وجه الأرض إلا شرارُ الناسِ الذين تقوم عليهم الساعةُ، كلُّ هذا مما تنبَّأ عنه رسول الله ﷺ أيضاً، إذْ قال – عليه الصَّلاة والسَّلام – في الحديث المروي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللهُ شَرِيْطَتَهُ[١] مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيْهَا عَجَاجَةٌ[٢]، لاَ يَعْرِفُوْنَ مَعْرُوْفاً، وَلاَ يُنْكِرُوْنَ مُنْكَراً»[٣].

أي: يأخذ اللهُ أهلَ الخير والدين، ويبقى غوغاء الناس وأراذلُهم، ومَن لا خيرَ فيهم، وهذا عند قبض العلم واتِّخاذ الناس رؤوساً جُهّالاً يُفتون بغير علمٍ.[٤]

٥) وعن حسن بن عليٍّ – رضي الله عنهما – أنَّ كعب بن عُجْرَة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّها سَتَكُوْنُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءٌ مِنْ بَعْدِيْ، يَعِظُوْنَ بِالْحِكْمَةِ عَلَى مَنَابِرَ، فَإِذَا نَزَلُوْا اخْتَلَسْتَ مِنْهُمْ، وَقُلُوْبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ؛ فَلَيْسَ مِنِّيْ وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلاَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ؛ فَهُوَ مِنِّيْ وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[٥].

وفي هذا الحديثِ دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ من أشراط الساعة وعلاماتها: ظهورُ الفَسَقَةِ من الأمراء والعلماء من أهل الجاه والرئاسة ممن يَعِظُون الناس بالعلم والحكمة، وهم من أشَدِّ خَلْق الله مخالفةً لِما تقوله ألسنتهم، فيأمرون بالمعروف وهم لا يفعلون، ويَنْهَون عن المنكَر وهم لا يَنْتَهون، وأمثال هؤلاء يبيِّن رسولُ الله ﷺ أنَّ بواطنهم أكثَرُ شرّاً، وأشَدُّ خُبْثاً وعُفونةً، وأنتَنُ رائحةً من جُثَث الأموات.

---

[١] شريطته: أي: أهل الخير والدين. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٨٥٦.

[٢] العَجَاجة، جمعُها: العَجَاج: الغوغاء والأراذل ومَن لا خير فيه. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٦٣.

[٣] أخرجه أحمد في المسند، ج١١، ص٥٥١، برقم (٦٩٦٤)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤوط: "رجاله ثقات رجال الشيخين".

[٤] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٧٧.

[٥] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج١٢، ص٤٣٥٩، برقم (٣٥٦١٩)، قال الهيثمي: "رجاله ثقات". انظر: مجمع الزوائد، ج٥، ص٣٠٨، برقم (٩٢١٠).

ومفهوم المخالفة لهذا الحديث يتّضح منه: أنَّ وُلاة الأمر، وعلماء الدين بما أنهم قُدْوَةُ الناس وأُسْوَتُهم فينبغي عليهم أن يكونوا على أقوى ما يكون من التمسُّك بالملة والشريعة، وللدِّين حُرّاساً وحُفّاظاً أقوياء، وحُماةً ورُعاةً أشدّاء أمناء، وإلا فما مقامُ راعٍ وعالمٍ لا تَصلُح به دنيا ولا يقوم به دينٌ.

ومنذ نحو أربعة قرونٍ وإلى الآن تشهد الأمةُ الإسلامية تَراجُعاً خطيراً في ميادين العلوم الإسلامية المتنوّعة: من علوم القرآن والقراءات، والسُّنّةِ وعلومها، والفقهِ وأصوله، واللغةِ وآدابها، والتاريخ، والتراجم، والرجال، والاجتماع، والفكر، وغير ذلك...، وأُصيبت الأمةُ بفقر شديد من العلماء المتبحِّرين والأئمة المجدِّدين، المفكِّرين المبدِعين، وطرأ عليها قحطٌ ثقافيٌّ مُخِيفٌ صَنَع بها الدواهي.

ومُنِيَ المسلمون بضَعْف الثقافة الدينية الصحيحة الشمولية والمتخصّصة؛ وذلك حين ذهب العلماء، وخفّت مجالس العلم، وتقلّصت حلقاتُ الدين في المساجد والجمعيّات الإسلامية، فازداد الجهلُ بدين الله انتشاراً، وسَهُلَ على الناس قبولُ كلِّ ما يسمعون أو يُلقَى إليهم من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ في المجالس، أو الصُّحُف، أو المجلاَّت، أو الإذاعات، أو الخُطَب الجُمَعِيّة[1].

المطلب الثاني: "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال النشر والتأليف والتحقيق:

و"التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال النشر والتأليف والتحقيق هو الأساسُ في هذه الفتنة، وعن طريق هذه القنوات وقع الإضلالُ والتضليلُ لأبناء أمة المصطفى ﷺ من قِبَل هؤلاء الكَذَبَة الْمُتعالِمين، وعن طريق هذه الأوعية – التي هي خيرُ أوعيةٍ لنشر العلم والحقّ والهدى – اتَّخذها مفاليسُ العلم وسائل لنشر الباطل والكذب والضلال، أو في أقلِّ أحوالِهم ذريعةً لكسب الحرام، بسلوك شتّى سُبُلِ الغِشِّ والخداع، والكذب والتزوير... وليس ذا والله إلا تحقيق لِما قد تنبّأ بحصوله رسولُ ربِّ العالمين عليه أفضَلُ الصَّلوات وأتَمُّ التسليم، في آخر زمان هذه الأمة، حيث تُصيبها البلايا والفِتَنُ والنَّوازِلُ والْمِحَنُ، ومنها هذه البَلِيّةُ الشَّعْواء، والمصيبةُ النَّكْراء، ومما جاء في ذلك من أحاديث نبوية جليلة، ما يلي:

---

[1] عبد الفتاح أبو غدة، في مقدمة تحقيقه لكتاب "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" للإمام ابن القيم الجوزية، ص٥، بتصرف يسير.

١) عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: تَسْلِيْمُ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوُّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِيْنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعُ الأَرْحَامِ، وَفُشُوُّ الْقَلَمِ، وَظُهُوْرُ الشَّهَادَةِ بِالزُّوْرِ، وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ**»[١].

وفي رواية أخرى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ كذلك – عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ... ظُهُوْرُ الْقَلَمِ**»[٢].

٢) وعن عَمْرو بن تَغْلِب ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ، وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ**»[٣].

وفي هذه الأحاديث النبوية الشريفة دلالةٌ واضحةٌ ظاهرةٌ، بيِّنةٌ جَلِيّةٌ على كثرة الكتابة وانتشارها، وظهور القلم وفُشُوّه قُرْبَ يوم القيامة، وأنَّ هذا من أمارات الساعة وأشراطها، والتي قد تحقَّقت كما تنبَّأ بذلك وأخبر رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ يوسف الوابل[٤]: "والمراد بظهور القلم – والله أعلم – ظهور الكتابة وانتشارها"[٥]، وقال – رحمه الله تعالى – في شرح حديث عمرو بن تَغْلِب ﷺ: "ومعناه – والله أعلم – ظهور وسائل العلم، وهي كتبه"[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من كره تسليم الخاصة، ص٣٨٨، ٣٨٩، برقم (١٠٤٩)، وأحمد في المسند، ج٦، ص٤١٦، برقم (٣٨٧٠)، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه للأدب المفرد: "حديث صحيح".

[٢] أخرجه أحمد في المسند، ج٦، ص٤١٦، برقم (٣٨٧٠)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "إسناد حسن". والحديث بكامله: «إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: تَسْلِيْمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِيْنَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الأَرْحَامِ، وشَهَادَةَ الزُّوْرِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُوْرَ الْقَلَمِ».

[٣] أخرجه سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي في المسند، ج٢، ص٤٨٩، ٤٩٠، برقم (١٢٦٧)، وهو حديث صحيح.

[٤] هو يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، لم أقف على ترجمته، إلا أنه من بلاد المملكة العربية السعودية، ومن علمائها البارزين في مجال الدعوة إلى الله، تخرَّج في جامعة أم القرى بمكة المكرمة من كلية أصول الدين، وحصل على شهادة الماجستير في العقيدة من نفس هذه الجامعة. ومن مؤلفاته: "أشراط الساعة".

[٥] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٩٠.

[٦] المرجع السابق، ص١٩١.

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التُّوَيْجِريّ[١]: "وقد ظهرت [الكتب] في هذا الزمن ظهوراً باهراً، وانتشرت في جميع أرجاء الأرض، بسبب توفُّر آلات الطباعة والتصوير، التي سَهَّلتْ انتشارَها، ومع هذا: فقد ظهر الجهل في الناس، وقلَّ فيهم العلم النافع، وهو علمُ الكتاب والسُّنّة، والعملُ بهما، و لم تُغْن عنهم كثرة الكتب شيئاً"[٢].

وهذه الأحاديث – في الحقيقة – قد وردت دالةً على انتشار الكتابة وفُشُوِّ التأليف وظهور القلم خاصةً، مما يدلّ كذلك أيضاً على تناوُل هذا القلمِ العددَ الجمَّ من الناس، سواء كان ذلك باستحقاق وتمكُّن وأهلية، أو بغيره.

والذي يتتبَّع ما تَجُود به الأقلامُ، وما تُنتِجه المطابعُ في البلاد العربية والإسلامية، من كتابات وكتب وصُحُف ومجلاَّت ودوريّات وموسوعات ونحوها، وما تَغُصُّ به المكتباتُ العامة والخاصة في ديار المسلمين، وما تَضِجُّ به مَعارِضُ الكتب؛ لا بُدَّ أن يقول: أنَّ من يتتبَّع ذلك يَدهَش لذلك الكَمِّ الهائل من فُشُوِّ العلم وظهورِ القلم كما وصف بذلك رسولُ الله ﷺ، ونحن نشهد مع أمواج المطبوعات تلك، جهلاً كبيراً بعلوم الشرع، حتى في صفوف عِلْيَة القوم، وحَمَلَةِ الشهادات العليا، فضلاً عن العامّة والأُمِّيّين والجَهَلَة من الناس[٣].

ومما يدلّ على دخول ذوي عدم الأهلية والاستحقاق هذا المجالَ الرفيع الشريف كذلك – على وجه العموم – ما يلي من هذه الأحاديث النبوية الشريفة:

---

[١] هو الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري (١٣٣٤هـ ١٤١٣هـ): أحد كبار علماء السعودية. وُلد في مدينة "المجمعة" عاصمة بلدان سدير. تلقَّى العلم من العلماء والمشايخ. ثم عمل قاضياً. توفي في مدينة الرياض. له نحو خمسين كتاباً، ومن أشهرها: "إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة". انظر: محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، ج١، ص١٥٤، ١٥٥.

[٢] محمود بن عبد الله التويجري، إتحاف الجماعة بما جاء في الفِتَن والملاحم وأشراط الساعة، ج١، ص٤٢٨، بتصرف يسير.

[٣] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ٤٣٣، ٤٣٤.

٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ سَنَواتٌ خَدَّاعَاتٌ**[١]، **يُصَدَّقُ فِيْهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيْهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيْهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيْهِ الأَمِيْنُ، وَيَنْطِقُ فِيْهَا الرُّوَيْبِضَةُ**[٢]». قِيْلَ: وَمَنْ الرُّوَيْبِضَةُ؟، قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ**[٣]، **فِيْ أَمْرِ العَامَّةِ**»[٤].

وفي رواية أخرى: «**السَّفِيْهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ**»[٥].

وهذا الحديثُ من تنبُّؤات رسول الله ﷺ العظيمة التي قد تحقَّقت حقّاً، ودلّتْ يقيناً على صِدْق نُبُوَّة المصطفى ﷺ، وأنه – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – ما ينطق عن هوى، إنْ هو إلا وحيٌ يُوحَى. حيث أخبرنا – عليه أفضَلُ الصَّلاة وأتَمُّ التسليم – أنه ستكون هناك في آخر الزَّمان قُرْبَ القيامة سنواتٌ خدّاعةٌ تنقلب فيه الأمور، وتتبدَّل الأحوال، وتختلّ الموازين، وتضطرب القِيَم عند الناس، فلا يعود الدين – هو الميزان والمعيار – الذي يُعرَف به الحقُّ من الباطل، والخيرُ من الشَّرِّ، فيُصدَّق الكاذبُ، ويُكذَّب الصادقُ، ويُؤتَمن الخائنُ، ويُخوَّن الأمينُ، فيرتفع في المجتمع أراذلُ الناسِ وسَفَلَتُهم، ويتقدَّمون على الأخيار، فيستأثرون دونهم بتولِّي أمور العامة، وإدارة شؤونهم، فيَفسُد حال الناس، وتَسُوء معيشتهم، فيزداد المنكُر ويشيع، ويقلّ الخير ويَنْزوي، ولقد وقع كثيرٌ من هذا في زماننا، فارتفع أسافل الناس، واستبدّوا بالرياسة، بينما هم أقَلُّ الناسِ صلاحاً وعلماً ومعرفةً بأحكام الشرع، بل إنَّ كثيراً من أولياء الأمور وأعوانهم تظهر عليهم أماراتُ العداء للإسلام والمحادَّاة لشريعته وأخلاقه؛ ولهذا عَمَّ الفساد وكَثُر الظلم[٦].

---

[١] أي تَكثُر فيها الأمطارُ ويقلّ الرَّيْعُ، فذلك خداعُها؛ لأنها تُطمِعهم في الخِصْب بالمطر ثم تَخلُف، وقيل: "الخدّاعة" القليلة المطر. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٤٧٤.

[٢] الرويبضة: تصغير "الرابضة"، وهو العاجز الذي رَبَض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٦٢٦).

[٣] التافه: الخسيس الحقير. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٦٢٦).

[٤] أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ص٥٨٣، برقم (٤٠٣٦)، وهو حديث صحيح، انظر: الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج٣، ص٣٢٢، برقم (٣٢٧٧).

[٥] أخرجه أحمد في المسند، ج١٣، ص٢٩١، برقم (٧٩١٢)، وهو حديث حسن، قاله محقِّق المسنَد الشيخ شعيب الأرناؤوط.

[٦] انظر: صفاء العدوي، إهداء الديباجة ج٣، ص٣٩٦.

وكم من أمثال هؤلاء قد دخلوا خيرَ قنوات العلوم والمعارف وأشرفَها، وأجلَّ مجالات الفكر والثقافة وأفضلَها من تحقيق كتب التراث وخدمتِها والعنايةِ بها ونشرِها، كذلك ما يتعلَّق بتأليف الكتب الشرعية وتصنيفِها، وكلُّ هذا مع سوء النيّة، وخُبْثِ الطَّوِيّة، وإظهارِ العلم وادِّعائه، وسترِ الجهل وإخفائه، فأيُّ فتنةٍ في الأمة أعظَمُ من هذه الفتنة؟! وأيُّ بليّةٍ أُصِيْبَتْ بها أحطَرُ من هذه البليّة؟!.

يقول الدكتور محمد ولي الله النَّدْوِي[١] في كتابه "نبوءات الرسول..." في شرح هذا الحديث ما نصُّه: "صَدَق رسولُ الله ﷺ، فقد أَتَتْ سنوات خدّاعات في زماننا هذا، الذي تغيَّرتْ فيه القِيَمُ فصار اللَّبِقُ الكَذَّابُ زعيماً صادقاً، والصَّادِقُ الصريحُ كاذباً مفترياً، كما أصبح الْخَوَنَةُ أُمَناءً، وبالعكس، نسأل الله ا لرُّشْدَ والهداية"[٢].

والمقصود بهؤلاء الرُّوَيْبِضَةِ – في الحقيقة – هم: "الأصاغر"، الذين لم يُؤتَوا من العلم إلا قليلاً، و لم يُوْتَوا من الدِّين إلا شيئاً زهيداً، ومن الفقه والفهم إلا نذراً يسيراً، فهم محرومون من كثيرٍ من التقوى والورع والحكمة والبصيرة، قد عَلِمُوا من الدين والحياة أشياءَ وجهلوا أكثر، فهم مغرورن متنطِّعون، صَخَّابون متسرِّعون، فِقْهُهم قليلٌ، وبصرهم كليلٌ، وحكمتهم ضعيفةٌ، ورحمتهم عليلةٌ، يتكلَّمون بغير تدبُّرٍ للأمور واستيعابٍ لها ورَوِيَّةٍ بها، ويتلاعبون بالمصطلحات، ويَلْوُوْن أعناق النصوص، ويَحُطّون على الأئمة، ويُكثِرون التجريحَ، ويَهْوَوْن الخلاف، ويسعون للظهور، ويتعنَّتون بالرَّأي، ويتخاشنون على من خالفهم، قد قَذَفتْ بهم الأقدارُ، فقاموا على رؤوس الناس بالتدريس والفتوى، والتصنيف والتأليف، وكلُّ ذلك بالتحدُّث باسم الإسلام والأمة[٣].

---

[١] هو محمد ولي الله بن عبد الرحمن الندوي: أحد علماء الحديث، وُلد عام ١٩٥٩ في مدينة "بُوْمبائي" في الهند، درس في "دار العلوم لندوة العلماء" بلكنؤ، ثم حصل على شهادة الماجستير ثم الدكتوراه في الحديث النبوي من جامعة الأزهر. عمل محاضراً في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالشارقة في الإمارات العربية المتحدة. ومن مؤلَّفاته: "نبوءات الرسول ما تحقَّق منها وما لم يتحقق". انظر: سيد أحمد زكريا الغوري الندوي، مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي، ج١، ص٣٢٣.

[٢] انظر: محمد ولي الله الندوي، نبوءات الرسول ما تحقَّق منها وما لم يتحقق، ص٢٧٢.

[٣] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٣٦، بتصرف وزيادة.

٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوْساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوْا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا**»[١].

وفي هذا الحديثِ يُخبرنا رسول الله ﷺ أنَّ الله تعالى لا يَقبِض العلمَ من بين الناس على سبيل رفعه من بينهم إلى السماء، أو محوِه من صدورهم، لكن يَرفَع العلمَ بموت حَمَلَةِ العلم، وقَبْضِ أرواح العلماء؛ فإذا حَصَل هذا ووَقَع، و لم يجد العوامُ علماءَ الدين الرَّبّانيين؛ اتَّخذوا رؤساء جَهَلَة يَسألُونهم عن أمور دينهم، فيُفْتُوْنَهم بغير علمٍ، وبذلك يُضِلُّون أنفسهم كما يُضِلُّون أولئك السائلين.

قال الإمام النَّوَوي رحمه الله تعالى: "هذا الحديثُ يبيِّن أنَّ المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلَقة ليس هو محوُه من صدور حُفَّاظه، ولكن معناه: أن يموت حَمَلَتُه، و يتّخذ الناسُ جُهّالاً يَحكُمون بجهالاتهم، فيَضِلُّون ويُضَلُّون"[٢].

والمرادُ بالعلم هنا علم الكتاب والسُّنّة، وهو العلمُ الموروث عن الأنبياء عليه السَّلام؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السُّنَنُ، وتَظهَر البِدَعُ، ويَعُمّ الجهلُ.

وأمّا علمُ الدنيا فإنه في زيادة، وليس هو المراد في الأحاديث؛ بدليل قوله ﷺ: «فَسُئِلُوْا فأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا»، والضَّلالُ إنما يكون عند الجهل بالدِّين، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجّهون الأمةَ، ويَدُلّونها على طريق الحقِّ والهُدى؛ فإنَّ العلم بدون عملٍ لا فائدةَ فيه، بل يكون وَبالاً على صاحبه، وقد جاء في روايةٍ للبخاري: «وَيَنْقُصُ العَمَلُ»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ص٣٧، برقم (١٠٠)، ومسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه...، ص١١٦٤، برقم (٢٦٧٣).

[٢] النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، ج١٦، ص٤٤١.

[٣] أخرجها في الصحيح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يُكرَه من البخل، ص١١١٠، برقم (٦٠٣٢).

قال مؤرِّخ الإسلام الحافظ الذهبي[١] بعد ذكره لطائفةٍ من العلماء في كتابه "تذكرة الْحُفّاظ": "وما أُوْتُوْا من العلم إلا قليلاً، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أُناس قليل، ما أقلَّ مَن يعمل منهم بذلك القليل، فحسبُنا الله ونِعم الوكيل"[٢].

وإذا كان هذا في عصر الذهبي، فما بالُك بزماننا هذا؟ فإنه كلما بَعُدَ الزمان من عهد النبوة؛ قَلَّ العلمُ، وكَثُرَ الجهلُ؛ فإنَّ الصحابة ﷺ كانوا أعلمَ هذه الأمةِ، ثم التابعين، ثم تابعيهم، وهم خيرُ القرون، كما قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي؛ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ»[٣].

وهكذا العلمُ في آخر الزَّمان لا يزال يَنقُص، والجهلُ يَكثُر؛ حتى لا يَعرِف الناسُ فرائضَ الإسلام[٤].

ومن هذا نستنبط أنَّ مرتبة العلم والإفتاء هي مرتبةٌ رفيعةُ الشَّأن، عاليةُ المقام، وهي الرياسة الحقيقية التي لا تَعْلُوها أي رياسة، لكن ينبغي ألا يُقدِم عليها إلا المتأهِّلُ لها، المتمكِّنُ للقيام بها وتحمُّلِ ثِقَلِها، وفي هذا حَثٌّ لأهل العلم على القيام بدور التعليم والإفتاء والدعوة والبلاغ والإرشاد، وذَمٌّ لمن يُقدِم على هذا المجال الخطير بلا علمٍ، أو أهليةٍ[٥].

ويجب على الأمة أخذُ العلمِ وتلقِّيه عن العلماء العاملين، والفقهاء الراسخين، الذين يؤصِّلون الأفكار السليمة، ويَبنون النفوس القويمة على المناهج الصحيحة، وينشرون ثقافةً تصنع أجيالاً قادرةً على إثبات الفضائل، واحترام الأصول والحقائق بحيث ترتفع إلى

---

[١] هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله الدمشقي (٦٧٣ – ٧٤٨هـ): الحافظ المورِّخ، الإمام المحقِّق. مولده ووفاته في دمشق. طاف كثيراً من البلدان، وأخذ من علمائها. وله العديد من المؤلَّفات في الحديث والتاريخ والسير، ومن أشهرها: "تذكرة الحفاظ"، و"سير أعلام النبلاء"، و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال". الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣٢٦.

[٢] الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠٣١.

[٣] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ص٤٨١، برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم، ص١١١٠، برقم (٢٥٣٢).

[٤] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٣٣، ١٣٤.

[٥] انظر: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ في شرح البخاري، ج١، ص١٩٦، ١٩٩.

مستوى الشمول في القرآن الكريم، وتتواءم مع سماحة الإسلام وصلاحية نظامه لكل ميادين الحياة.

ومن ناحية أخرى ينبغي وبشِدّة محارَبة أولئك الْمُتعالِمين ومقاطَعتِهم، الذين اتَّخذوا العلم سُخْرِيَّةً وجِدالاً، وطلبوه لغير الفقه فيه، والعملِ به؛ بل لطلب الوظائف والمنابر، وتصدُّرِ النوادي والمجالس، اتّصفوا بالعلم وتمسَّكوا بشهاداته وألقابه وهم مِن أسبَقِ الناسِ إلى هدم مبادئه، ومن أسرعِهم إلى فعل الذنوب والمعاصي والكبائر، قد تزيَّنوا للناس بالصلاح والتقوى رجاءَ كسبِ المال والجاه والمناصب والشهرة، من وجوه الخِداع والمكر والغَشّ المختلفة العديدة[١].

٥) وفي نفس المعنى كذلك حديثٌ آخر من رواية عُرْوَة بن الزُّبَيْر ﷺ إذ قال: حَجَّ علينا عبدُ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فسمعتُه يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ الْعِلمَ بَعْدَ أنْ أَعْطَاهُمُوْهُ انْتِزَاعاً، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُوْنَ برَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّوْنَ وَيَضِلُّوْنَ**»[٢].

٦) وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، يَنْقُصُ العِلْمُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**»[٣][٤].

ومعنى الحديث: أنَّ في آخر الزَّمان سيُنقَص العلمُ من أمة رسول الله ﷺ؛ وذلك بموت أهل العلم من العلماء الربانيين، فكُلَّما ماتَ عالِمٌ ولم يَخْلُفه أحدٌ؛ نَقَص من العلم وذَهَب، ونَقَص منه واندرس بقدر موت أولئك العلماء، وبذلك يفشو الجهلُ وينتشر، ويَعُمّ التَّعالُمُ ويَطُمّ.

فأين أمثال فقهاء الصحابة العِظام، والتابعين الكِبار، وأئمة المذاهب المتبوعين، وتلاميذهم الأفذاذ؟، لقد جاء دور أنصاف العلماء؛ بل شِبْه العلماء، وكثيرٌ منهم اغْتَرَّ بحمل ألقاب

---

[١] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٥٣، بتصرف وزيادة.

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُذكَر من ذمّ الرأي وتكلّف القياس، ص١٣٢٣، برقم (٧٣٠٧).

[٣] الهَرْجُ: أي القِتال والاختلاط. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٩٠١).

[٤] أخرجه أحمد في المسند، ج١٦، ص٥٤٠، برقم (١٠٩٢٦) وص٥٨٠، برقم (١٠٩٨٤)، وقال محقّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "حديث صحيح".

"الدكتوراة"، لهم في كتب الدين قراءاتٌ مبتورةٌ، لا تُميِّز غَثّاً من السَّمين، ولا تعرف أصيلاً من الدَّخيل، وقد اقتحموا ميادينَ عديدةً، وأحدثوا فوضى شديدةً، إنَّ كثيراً ممن قُدِّموا للأمة على أنهم علماء، هم في أرفع ما يُمكِن أن نصفهم به أنهم "طَلَبة العلم"، فهم ليسوا من أولئك العلماء الراسخين؛ بل كثيرٌ منهم يجهلون الكثير من أمور الدين، وشؤونِ العبادات، وآدابِ الإسلام وأحكامه ومبادئه وتفصيلاته[١].

وعلى سبيل التأييد والتعضيد مما سبق؛ أُورِد هذا الحديثَ المرويّ عن أبي الدَّرْدَاء ﷺ حيث يقول: كنا مع رسول الله ﷺ، فشَخَص بَصَره إلى السَّماء، ثم قال: «**هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى لاَ يَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ**»، فقال زِياد بن لَبِيْد الأنصاري ﷺ: كيف يُختَلَسُ منا وقد قرأنا القرآنَ؟، فو الله لنقرأنَّه، ولنُقرِأنّه نساءَنا وأبناءَنا، فقال ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا زِيَادَ! إِنْ كُنْتُ لأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِيْنَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيْلُ عِنْدَ الْيَهُوْدِ وَالنَّصَارَى فَمَاذا تُغْنِيْ عَنْهُمْ؟**». قال جُبَيْر[٢] فلقيتُ عُبادةَ بن الصَّامت ﷺ، قلتُ: ألاَ تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرتُه بالذي قال أبو الدرداء، قال: صَدَق أبو الدرداء، إنْ شِئتَ لأُحَدِّثَنّك بأوّل علمٍ يُرفَع من الناس: الخشوع، يُوشَك أن تَدخُل مسجدَ جماعةٍ فلا تَرى فيه رجلاً خاشعاً"[٣].

ويقول الحافظ ابن مَنْدَة[٤]: "إنما خَصَّ اللهُ بمعرفة هذه الأخبارِ نفراً يسيراً من كثيرٍ ممن يدّعي علمَ الحديثِ، فأمّا شأنُ الناسِ ممن يدّعي كثرةَ كتابة الحديث، أو متفقِّهٍ في علم الشافعيِّ[٥]،

---

[١] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٥٤، ٤٥٥، بتصرف وزيادات.

[٢] هو جُبَيْر بن نُفَيْر بن مالك بن عامر الحضرمي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله الحِمْصي (ت٨٠هـ): ثقة من كبار تابعي أهل الشام، أدرك زمانَ النبي ﷺ ولم يره. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٢٩٢.

[٣] أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، ص٦٠٣، برقم (٢٦٥٥)، وقال: "هذا حديث غريب"، والحاكم في المستدرك، ج١، ص٢٩٣، برقم (١٤٨)، وصحَّحه.

[٤] هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبدي الأصبهاني (٣١٠ – ٣٩٥هـ): من كبار حفّاظ الحديث، الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه، كتب عن ألف وسبعمائة شيخ.من أشهر كتبه "فتح الباب في الكنى والألقاب". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٣١.

[٥] هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (١٥٠ – ٢٠٤هـ): الإمامُ العَلَم، وحِبْرُ الأمة، وأحدُ الأئمة الأربعة المتبوعين. وُلد بـ"غزة" بفلسطين، وتوفي بمصر. سمع الحديثَ من الإمام مالك، وتفقَّه على الإمام محمد بن الحسن الشيباني وغيره. ومن أشهر مؤلفاته: "الأم"، و"الرسالة"، و"اختلاف الحديث". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٣٦١، ٣٦٢.

وأبي حنيفة[١]، أو متّبعٍ لكلام الحارث الْمُحاسِبِيّ[٢] والجنيد[٣]، وذو النُّوْن[٤]، وأهل الخواطر؛ فليس لهم أنْ يتكلّموا في شيء من علم الحديث إلا مَن أخذه عن أهله، وأهل المعرفة، فحينئذ يتكلّم بمعرفة"[٥].

٧) وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيْمَتَانِ، يَكُوْنَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيْمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُوْنَ كَذَّابُوْنَ قَرِيْبَ مِّنْ ثَلاَثِيْنَ، كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُوْلُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ...**»[٦].

ففي هذا الحديث إشارةٌ إلى ظهور الكَذَبَة الدجّالين من أدعياء العلم والدِّين، وفيه كذلك إشارةٌ إلى تَناقُص العلمِ وقِلّتِه، ورفعِه من بين الناس وقبضِه، وبذلك يفشو الجهلُ وينتشر، وتَعُمّ الفتنةُ، وتشتدّ المحنةُ، بفقدان أهل العلم ونُدْرَة حَمَلَته، وكثرةِ الجَهَلَة الأدعياء، ووجودِهم في كل مكانٍ وفي كلّ منصبٍ يَقْضُون ويُفْتُون، ويَدْعُون ويَعِظُون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إنا نعوذ بك من هذه الفتنة الصَّمَّاء.

---

[١] هو النعمان بن ثابت التَّميمي الكوفي، أبو حنيفة (٨٠ – ١٥٠هـ): إمام الأئمة الفقهاء، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين، قال فيه الإمام الشافعي: "الناسُ عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة". وُلد ونشأ بالكوفة وتوفي ببغداد. وله مُسنَدٌ جمعه تلاميذه. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٣٦.

[٢] هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت٢٤٣هـ): من أكابر الصوفية، كان عالِماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مُبكياً. وُلد بالبصرة وتوفي ببغداد. وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة، ومن أشهرها: "رسالة المسترشدين"، و"المسائل في أعمال القلوب والجوارح"، و"الخلوة التنقل في العبادة"، وغيرها. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٥٣.

[٣] هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم (ت٢٩٧هـ): من كبار الصوفية، والعلماء بالدين. مولده ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلّم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: "إمام الدنيا في زمانه"، وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة. وله رسائل في التوحيد والألوهية. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٤١.

[٤] هو ثوبان بن إبراهيم الإحميمي المصري، أبو الفيّاض أو أبو الفيض (ت٢٤٥هـ): أحدُ الزُّهَّاد العُبَّاد المشهورين، من أهل مصر. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. توفي بجيزة. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٠٢.

[٥] انظر: ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، ج١، ٣٣، ٣٤.

[٦] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ص١٢٩١، برقم (٧١٢١).

وأمثال هؤلاء إنْ أمسكوا بزِمام القلم يكتبون ويؤلِّفون، ويصنِّفون ويحقِّقون، في علوم النُّبُوَّة ومعارف الشريعة؛ فلا تَسَلْ عن ضياع العلم ونفاذِه، وذهابِ الدين واندراسِه، على أيدى هؤلاء الجَهَلَة الكذَّابين من أدعياء الدِّين.

٨) وعن مِقْداد بن أَسْوَدٍ ﷺ قال: "أَيْمُ الله، لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّب الْفِتَنَ، إنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّب الْفِتَنَ، ولَمَنْ ابْتُلِيَ فصَبَرَ، فَوَاهاً**"[١].

وفي هذا الحديثِ يبشِّر النبيُّ ﷺ ذاك السعيدَ الذي ابتعد عن الفِتَن، وحَذِرَها بالخير والفلاح والسعادة والرشاد، أمّا من اقتربها أو باشَرَها أو سعى إليها؛ فلن يَجْنِ سوى التَّلَهُّفِ والحسرةِ، والتَّأَسُّفِ والنَّدامةِ.

ومن هنا تتّضح أهميةُ توعية المسلمين حول الفِتَن وشُرورِها، ومنها هذه الفتنةُ الشَّوْهاء – فتنة التَّعالُم – والتي غَزَتْ مجتمعَنا الإسلامي، وشَتَّتَتْ شملَ أفرادِه، وفَرَّقَتْ بين علمائه، وأَنْهَكَتْ ربّانيي الأمةِ ردّاً وتعقيباً على مصنَّفات أهل الباطل والضَّلال ومؤلَّفاتِهم وتحقيقاتِهم لكتب التراث التي لا يُريدون من ورائها سِوى نشر آرائهم وأفكارهم الضَّالّة المضِلّة.

٩) وعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ يقول: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ**»[٢].

وهذا الحديثُ فيه دلالةٌ على حدوث المصائب والبلايا والْمِحَن، ووقوع النَّوازل والنكبات والفِتَن في أمة رسول الله ﷺ؛ وذلك في آخر الزمان، حيث يبتعد الناس عن شريعة الله تعالى وسُنَّةِ المصطفى ﷺ، ويتمسَّكون بالآراء والأقوال، ويَستنِدون إلى المذاهب والفِرَق،

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب النهي عن السعي في الفتنة، ص٥٩٨، برقم (٤٢٦٣)، وهو حديث صحيح، انظر: الألباني، صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص١٣، برقم (٤٢٦٣).

[٢] أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ص٥٨٣، برقم (٤٠٣٥)، وهو حديث صحيح، انظر: الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج٣، ص٣٢١، برقم (٣٢٧٦).

ويُسندون الأمور إلى غير أهلها ومستحقِّيها، فتَضِلّ الأمةُ وتَذِلُّ، وتنحرف عن الصراط المستقيم، وتبتعد عن الطريق القويم[١].

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة صحيحة، منها حديثُ جبريل الطويل الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَتْ العُرَاةُ الْحُفَاةُ رُؤُوْسَ النَّاسِ؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»[٢].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قال: كيف إضاعتُها يا رسول الله؟ قال: «إذا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ؛ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[٣].

ومنها ما رواه حُذَيْفَة بن اليَمَان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُوْنَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ[٤]»[٥].

أي: حتى يكون أسعد الناسِ في الدنيا نعيماً وملاذاً ووجاهةً ألئَم الناسِ، وأشئمهم، وأذلّهم، وأخسّهم، وأصغرهم[٦].

وفي روايةٍ أخرى عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ، فَخَيْرُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيْمَيْنِ»[٧].

---

[١] انظر: صفاء العدوي، إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، ج٣، ص٣٩٦، ٣٩٧.

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، ص٢٦، برقم (٩).

[٣] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ص١١٨٤، برقم (٦٤٩٦).

[٤] لكع بن لكع هو: اللئيم ابن اللئيم، أو هو: رديء النسب والحسب، وقيل: من لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق. (المباركفوري، تحفة الأحوذي ج٦، ٣٧٥)، وقيل: اللكع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٦١٣). والمعنى: أن الذين يتولون أمور المسلمين في آخر الزمان ويتصرفون في أموالهم هم أخس الناس وأحقرهم.

[٥] أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، ص٥٠٧، برقم (٢٢٠٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

[٦] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٨١.

[٧] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ج٧، ص٢١٧، برقم (٧٣١٦)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط بإسنادَين، ورجال أحدهما ثقات"، انظر: مجمع الزوائد، ج٧، ص٤٤٤ و٤٤٥، برقم (١٢٤٤٢).

وعن حُذَيْفَة بن اليَمَان ﷺ في قبض الأمانة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَه! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَه! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمانٍ»[١].

وهذا هو الواقع بين المسلمين في هذا العصر: يقولون للرجل: ما أعقله! ويَصِفُونه بأبلغ الأوصاف الحسنة، وهو من أفسقِ الناس، وأقلِّهم دِيناً وأمانةً، وقد يكون عدوّاً للمسلمين، ويعمل على هدم الإسلام، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم[٢].

١٠) وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قيل يا رسول الله! متى نَترُك الأمرَ بالمعروف؟ والنَّهْيَ عن الْمُنكَر؟، قال: «**إذا ظَهَرَ فِيْكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ**»، قلنا: يا رسول الله! وما ظَهَر في الأُمَم قَبْلنا؟، قال: «**الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، والفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكِمْ، والعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ**»، قال زيد[٣]: تفسير معنى قول النبي ﷺ: «والعلم في رذالتكم»: إذا كان العلم في **الفُسَّاق**"[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقائق، باب رفع الأمانة، ص١١٨٤، برقم (٦٤٩٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، ص٧٣، برقم (١٤٣)، واللفظ لمسلم، والحديثُ بكامله كما يلي:

عن حُذَيْفَة قال: حَدَّثَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ حديثَيْن قد رأيتُ أحدَهما، وأنا أنتظِر الآخرَ، حَدَّثَنا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ». ثم حَدَّثَنا عن رَفْع الأمانةِ، قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

[٢] انظر: يوسف الوابل، أشراط الساعة، ص١٨٢.

[٣] هو زيد بن يحيى بن عُبَيد الْخُزَاعي، أبو عبد الله الدمشقي (ت٢٠٧هـ): من الرواة الثقات، وكان من أهل الفتوى بدمشق، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل وطبقته، توفي بدمشق. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، ص٦٧٢.

[٤] أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ص٥٧٩، برقم (٤٠١٥)، وهو حديث ضعيف، انظر: الألباني، ضعيف سنن ابن ماجه، ص٣٦٦، برقم (٨٠٢).

وهذا الحديثُ أيضاً يدلّ على أنَّ من الفِتَن التي ستظهر قُرْب يوم القيامة: ظهور العلم في أسافل الناس وأصاغرهم، وأحقرِهم وأرذلِهم من أصحاب الفِسْق والفُجور، ومُرتكِبي المعاصي والذنوب، فأيُّ فتنةٍ في الدين أعظَمُ من هذه الفتنة، حيث ارتفاع أسافل الناس عن خِيارهم، واستئثارهم بالأمور دونهم، فيكون أمرُ الناس بيد سفهائهم وأراذلهم ومَن لا خيرَ فيهم، وهذا من انعكاس الحقائق، وتغيُّر الأحوال، وهذا أمرٌ مشاهَدٌ في هذا الزمن، فتَرى أنَّ كثيراً من رؤوس الناس وأهلِ العقد والحلِّ هم أقَلُّ الناسِ صلاحاً وعلماً، مع أنَّ الواجب أن يكون أهل الدِّين والتُّقَى هم المقدَّمون على غيرهم في تولِّي أمور الناس؛ لأن أفضل الناس وأكرمهم هم أهلُ الدين والتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣][1].

ولذلك لم يكن النبي ﷺ يولِّي الولاياتِ وأمورَ الناس إلا مَن هم أصلَحُ الناسِ وأعلَمُهم، وكذلك خلفاؤه مِن بعده، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ؛ منها ما رواه البخاري في الصحيح عن حُذَيْفَة بن اليَمَان ﷺ أن النبي ﷺ قال لأهل نَجْران[2]: «لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِيْناً حَقَّ أَمِيْنٍ»، فاستشرف لها أصحابَ النبيِّ ﷺ، فبعث أبا عُبَيْدَة[3].

وجميعُ هذه الأحاديث – وعلى وجه العلوم – فيها بيانُ أنَّ العلم سيُرفَع من بين الناس، وأنَّ الأمانة ستُرفَع من القلوب، حتى يصير الرجل خائناً بعدما كان أميناً، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته لله تعالى، وضَعُفَ إيمانه، وخالَطَ أهلَ الخيانة؛ فيصير خائناً؛ لأن القرين يقتدي بقرينه. ومن مَظاهِر تضييع الأمانة كذلك إسناد أمور الناس من إمارةٍ وخلافةٍ وقضاءٍ ووظائف علمية على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تيسيرها، والمحافظةِ عليها؛ لأن في ذلك تضييعاً لحقوق الناس، واستخفافاً بمصالحهم، وإيغاراً لصدورهم، وإثارةً للفِتَن بينهم.

---

[1] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٧٨، ١٧٩.

[2] مدينة معروفة بالحجاز من شِقّ اليمن، سُمّيت بنَجْران بن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب، وهو أولُ مَن نزلها. انظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٤، ص١٢٩٨.

[3] البخاري، الصحيح، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصادق، ص١٣١٤، رقم الحديث (٧٢٥٤).

فإذا ضيَّع مَن يتولَّى أمرَ الناسِ الأمانة – والناسُ تَبَعٌ لمن يتولَّى أمرَهم – كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاحُ حال الولاة والعلماء صلاحٌ لحال الرعية والعوام، وفسادُهم فسادٌ لهم.

ثم إنَّ إسناد الأمر إلى غير أهله دليلٌ واضحٌ على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم ليُوَلُّون أمرهم مَن لا يهتمّ بدينهم، وهذا إنما يكون عند غلبة الجهل ورفعِ العلم؛ ولذلك أخبر الصادق المصدوق الرسول الأمين ﷺ أنه ستكون هناك سنوات خدّاعة، تنعكس فيه الأمورُ حيث يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذبُ، ويُخوَّن الأمين، ويُؤتَمن الخائن[١].

وقد ظهر هذا الصِّنْفُ من الناس منذ عهودٍ قريبةٍ، وتَفاقَم شرُّه في هذا العصر: فنجد من المحسوبين على الدين أقواماً لا تُرشِّحهم مَعادِنُهم العاطفية ولا الفكرية لأداء رسالته وحملِ أمانته! ونرى كثيرين من الْمُعتنين بالفقه والدراسات الإسلامية والدارسين لها والباحثين والمصنِّفين فيها؛ لا يبتغون بها وجهَ اللهِ تعالى، ولا يقصدون خير الإسلام وأهله، فيبحثون ويؤلِّفون ويتعلَّمون ويتفقّهون لمجرَّد العلم والبحث والدرس، لا للالتزام والعمل والتطبيق، ونجد بَوْناً شاسعاً بين علومهم وواقع حياتِهم ومسلكياتِهم! بل قد دخل في العلوم الإسلامية فئاتٌ من الدارسين ليس عندهم أيُّ التزامٍ بقواعد الدين وأركان الإسلام، إنما دخلوا في مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم وتخصُّصاتهم لنَيْل الشهادات وملءِ الفراغ. والأَدْهَى مِن ذلك أن نجد من الدارسين من يبحث في علوم الإسلام من فقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وغيرها للتشكيك والنَّيْل من الإسلام والصدِّ عن سبيله، أو لنَيْل الشهادات العليا واستلامِ المناصب والهيمنة على منابر التوجيه والتأثير... وكلُّ ذلك من تغيُّر الزمان، وفسادِ الأحوال، واضطرابِ الموازين[٢].

[١] يوسف بن عبد الله الوابل، أشراط الساعة، ص١٣٠، ١٣١.

[٢] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٦٣، بتصرف وزيادة.

المطلب الثالث: "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال الإفتاء والقضاء:

(أ) "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال الإفتاء:

أمَّا "التَّعالُم" في مجال الإفتاء فحَدِّثْ عنه ولا حرجَ، فقد عَمَّ البلاءُ وطَمَّ، وذاع المصابُ به وشاع، في حين كان السلف – رحمهم الله تعالى – يتورَّعون فيه مع جلالة قدرهم، وعُلُوِّ منْزلتهم، فيدفعون الفتوى عن أنفسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويتوقَّفون فيها خشيةً وورعاً، متمسِّكين في كثير من الأحايين بقول: "لا أدري"، وهم بِحارُ العلم إحاطةً وسَعَةً، وجبالُ المعرفة رسوخاً وثباتاً، ومواقفهم لأجل ذلك معروفةً مشهورةً...

أمّا حال الْمُتعالِمين فعلى العكس والنقيض، حيث التَّهافُتُ إلى الفتوى، والتَّسابُقُ من أجلها وهم من أشَدِّ الناس استنكافاً[1] من قول "لا أدري" – فمن أفتى فهو في النار، كذا رُوي عن سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين – ناسين أو متناسين أنَّ أمرها عظيمٌ، وخطبُها جليلٌ، وإليك ما جاء في شأن هذا من أدلة وأحاديث:

١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كانَ إِثْمُه عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ**»[2].

ومعنى الحديث: أنَّ من أفتى الناسَ وليس بأهل للفتوى فهو آثِمٌ عاصٍ، ومن أقرَّه على ذلك من وُلاة الأمور فهو آثِمٌ أيضاً، ويدلُّ الحديث أنَّ من تصدَّر للفتوى من غير أهلها أَثِمَ إثْماً شديداً.

قال الإمام ابن الجوزي[3] رحمه الله تعالى: "ويلزم وَلِيَّ الأمرِ منعُهم [عن ذلك] كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنْزلة من يدلُّ الركبَ، وليس له علمٌ بالطريق، وبمنْزلة الأعمى الذي

---

[1] أي: بُعْداً.

[2] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، ص٥٢٥، برقم (٣٦٥٧)، وابن ماجه في مقدمة السنن، باب اجتناب الرأي والقياس، ص٨، برقم (٥٣)، وأحمد في المسند، (١٧/١٤)، برقم (٨٢٦٦)، كلهم عن أبي هريرة ﷺ، واللفظُ لأبي داود، وقال محقِّق المسنَد الشيخ شعيب الأرناؤط: "إسناده ضعيف".

[3] هو أبو الفَرَج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥١٠ – ٥٩٧هـ): شيخ الإسلام، علاَّمة عصره في التاريخ والحديث، إمامٌ كثيرُ التصانيف، حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف في عصره. وُلد ببغداد وتوفي بها عن عمر يُقارِب تسعين عاماً. انظر لترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠، ١٤٢.

يُرشِد الناسَ إلى القِبلة، وبمنْزلة مَن لا معرفةَ له بالطِّبّ وهو يُطِبّ الناسَ، بل هو أسوأُ حالاً من هؤلاء كلِّهم، وإذا تعيَّن على وَلِيِّ الأمر منعُ مَن لم يُحسِن التَّطَبُّبَ من مُداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتابَ والسُّنّة، و لم يتفقَّه في الدين؟".

وكان شيخُنا[1] – رضي الله عنه – شديدَ الإنكار على هؤلاء، فسمعتُه يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجُعِلْتَ محتسباً على الفتوى؟ فقلتُ له: يكون على الخبّازين والطبّاخين محتسبٌ، ولا يكون على الفتوى محتسبٌ؟!"[2].

٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلمَ انْتِزَاعَاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوْساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوْا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا**»[3].

وهذا الحديثُ فيه دلالةٌ واضحة على أنَّ من دلائل قُرْب يوم القيامة وعلاماتِ ذلك: تناوُلُ أهل الجهل لأمر الإفتاء العظيم، وقيامِهم بهذا المنصب الجليل، وذلك حين يُرفَع العلمُ ويُقبَض، ويُنقَص ويُنقَض، بموت أهله وحَمَلَتِه، فيقوم أهلُ الجهل والباطل، وذوي الكذب والضَّلال بإفتاء الناسِ أمورَ دينهم، فيُضِلّون أنفسهم كما يُضِلّون أولئك السائلين المستفتين.

"وإذا كان في الحديث تنويهٌ بشأن العلم والعلماء عامّةً، ففيه تنويهٌ أعظَم وأجلّ بشأن الفتوى والمفتين خاصّةً، وحسبُ الفتوى شرفاً وفضلاً أنّ الله – تعالى جَدُّه – تولاَّها بنفسه، ثم ولاَّها خاتمَ أنبيائه ورُسُله، ثم تولاَّها سادةَ الأمة وقادتَها، أبَرُّها قلوباً، وأعمَقُها علماً، وأقَلُّها تكلُّفاً، أولئك أصحابُ رسول الله ﷺ، فليُعِدَّ المفتون لهذه المنصب عُدَّته، وليعرفوا له خطرَه وجلالته"[4].

---

[1] يقصد به: الإمام ابن تيمية.

[2] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٩٠٣.

[3] سبق تخريجه في هامش المطلب الثاني من هذا المبحث.

[4] النص المورَد بين القوسين من كلام الشيخ طه الساكت، من كتابه "من ذخائر السنة النبوية"، انظر: ج١، ص٢٤٨.

٣) وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. وَمَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوْهُ الْمُسْلِمُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ؛ فَقَدْ خَانَهُ. وَمَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا بِغَيْرِ ثَبْتٍ؛ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ**»[١].

٤) وأُثِرَ عن عبد الله بن عبّاسٍ – رضي الله عنهما – أنه قال: "مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِفُتْيَا يَعْمَى عَنْهَا؛ فَإِنَّمَا إِثْمُهَا عَلَيْهِ"[٢].

وفي هذا الحديثِ والأثرِ بيانُ ما يترتَّب على الإفتاء بغير علمٍ من الوعيد الشديد، حيث توعَّد رسولُ الله ﷺ من قال عليه ما لم يَقُلْ – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – فليتبوَّأ مكانَه من جهنّم، وفي هذا بيانٌ لمنْزلة الإفتاء في الدين، فكما أنَّ المفتي بعلمٍ أجرُه عظيمٌ، كذلك المفتي بغير علمٍ خَطَرُه كبيرٌ.

ومما شاعَ وظهر في هذا الزَّمانِ كثرةُ المفتين بغير علمٍ، وتَجَرَّأ العامة على الفتوى من رجال ونساء، وكان على العاقل أن لا يتجرَّأ على الفتوى بغير علمٍ، فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتدافعون الفتوى خوفاً من القول على الله بلا علمٍ، رضي الله تعالى عنهم، بل كان كلُّ واحدٍ منهم يَوَدُّ أنَّ صاحبه كفاه الفتوى.

ولقد حذَّر الله ﷻ أشدَّ ما يكون من التحذير من القول عليه بلا علمٍ، إذ قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومِمّا يُنسَب إلى النبيِّ ﷺ قولُه: «أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الفُتْيَا أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ»[٣]، أي: كأنّه يسرع إلى النار؛ لأنه لا يُقدِّر عاقبةَ عدمِ إصابتِه الحقَّ؛ وذلك بسُرعتـــه وعدمِ تَرَوِّيه[١].

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص١٠٦، برقم (٢٥٩)، والحاكم في المستدرك، ج١، ص١٨٣، برقم (٣٤٩، ٣٥٠)، والخطيب البغدادي، في كتاب الفقه والمتفقه، ج٢، ٣٢٧، برقم (١٠٤٥)، وقال الألباني: "صحيح لغيره".

[٢] أخرجه الخطيب البغدادي في كتاب الفقه والمتفقه، ج٢، ص٣٢٨، برقم (١٠٤٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص٦٥، برقم (١٦٢٦)، وقال محقِّقه أبو الأشبال الزهيري: "إسناده صحيح".

[٣] أخرجه الدارمي مرسلاً في مقدمة السُّنن، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ج١، ص٦٢، برقم (١٥٧)، وهذا القولُ لم يصح عن رسول الله ﷺ، وقال الشيخ الألباني: "ضعيف، أخرجه الدارمي في سننه من طريق عبيد الله بن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. وهذا إسناد ضعيف لإعضاله، فإن عبيد الله هذا من أتباع

لذا كان السَّلَفُ يَعُدّون التَّسَرُّعَ في الإفتاء من غير علمٍ أمارةً من أمارات عدمِ فِقْهِ الرَّجُل؛ ويَهابُوْنَ موقفَ الإفتاء، "ويَكرهُون التَّسَرُّعَ فيه، ويَوَدُّ كلُّ واحدٍ منهم أن يكفيه إيَّاها غيرُه: فإذا رأى بها قد تعيَّنتْ عليه؛ بَذَل اجتهادَه في معرفة حُكمِها من الكتاب والسُّنَّة، أو قولِ الخلفاء الراشدين، ثم أفتى"[٢].

وكان التابعيُّ الجليل سعيدُ بن المسيِّب – رحمه الله تعالى – لا يكاد يُفتي إلاَّ قال: "اللَّهم سَلِّمْني وسَلِّمْ مني"[٣].

وأُثِرَ عن الإمام ابن أبي لَيْلى[٤] – رحمه الله تعالى– أنه قال: "أدركتُ عشرين ومئةً من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدِّثٌ إلاَّ وَدَّ أنَّ أخاه كَفَاه الحديثُ، ولا مُفْتٍ إلاَّ وَدَّ أنَّ أخاه كَفَاه الفُتْيا"[٥].

وقال الإمام سَحْنُون[٦] رحمه الله تعالى: "أجْرَأُ النَّاسِ على الفُتيا أقَلُّهم عِلماً[٧]، يكون عند الرَّجُلِ البابُ الواحدُ من العلم؛ يَظُنُّ أنَّ الحقَّ كُلَّه فيه!"[٨].

التابعين، مات سنة ١٣٦هـ، فبينه وبين النبي ﷺ واسطتان أو أكثر". انظر: محمد ناصر الدين الألباني، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ج٤، ص٢٩٤.

[١] انظر تعليق المحقِّق على "سنن الدارمي": (٦٢/١).

[٢] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٣٣.

[٣] المرجع السابق: ص٣٦٨.

[٤] هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ابن بلال الأنصاري الكوفي (٧٤ – ١٤٨هـ): قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. روى عنه سفيان الثوري وطبقته. وُلي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية ثم لبني العباس. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. توفي بالكوفة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص٦٢٧، ٦٢٨.

[٥] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص٢٧٣.

[٦] هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّنُّوْخي، الملقَّب بـ"سَحْنُون" (١٦٠ – ٢٤٠هـ): قاض، فقيه، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب. وُلد في قيروان وتوفي بها. وولِّيي القضاء بها واستمرَّ إلى أن مات. روى "المدوَّنة" عن عبد الرحمن بن قاسم عن الإمام مالك بن أنس. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٥.

[٧] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص٢٧٦.

[٨] المرجع السابق، ج٢، ص٢٧٧.

والجرأةُ في الإفتاء – كما قال الإمامُ ابن قَيِّم الْجَوْزِية رحمه الله تعالى – لا تكون إلا من قِلَّة العلم، أو من غزارتِه وسَعَتِه، فإذا قَلَّ علمُه أفتى عن كلِّ ما يُسْأَل عنه بغير علمٍ، وإذا اتَّسَع علمُه اتَّسَعَتْ فُتْياه[١].

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: "أخبرني رجلٌ أنه دخل على رَبِيْعَةَ[٢]، فقال: ما يُبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أدخلتْ عليك مصيبةٌ؟ فقال: لا، ولكن اسْتُفْتِيَ مَن لا عِلْمَ له، وظهر في الإسلام أمرٌ عظيمٌ"[٣].

قال الحافظ الخطيب البغدادي بعد أنْ أورد هذه القصةَ في كتابه "الفقيه والمتفقه": "ينبغي لإمام المسلمين أن يَتصفَّح أحوالَ الْمُفتِين، فمَن كان يَصلُح للفتوى؛ أقرَّه عليها. ومَن لم يكن مِن أهلها؛ مَنَعه منها، وتقدَّم إليه بأن لا يتعرَّض لها، وأَوْعَده بالعُقُوبة إنْ لم يَنْتَهِ عنها. وقد كان الخلفاء من بني أُمَيَّة يَنصُبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوماً يعيِّنونهم، ويَأمَرون بأن لا يُستَفْتَى غيرهم"[٤]. وكان يَصِيح الصَّائِحُ في الحاجِّ: لا يُفتِي الناسَ إلا عطاءُ بن أبي رَبَاح[٥]، فإنْ لم يكن فعبدُ الله بن أبي نَجِيح[٦]"[٧].

---

[١] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٣٣، ٣٤.

[٢] هو ربيعة بن فَرُّوخ التيمي المدني، أبو عثمان، الملقَّب بـ"ربيعة الرَّأي" (ت١٣٦هـ): إمام حافظ، فقيه مجتهد، كان بصيراً بالرأي فلقِّب به، وكان أحفظ الناس للسُّنَّة، وصاحبَ الفتوى بالمدينة، وبه تفقَّه الإمام مالك بن أنس. توفي بالهاشمية من أرض الأنبار. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٥٧، ١٥٨.

[٣] ذكره الخطيب البغدادي، في كتابه "الفقيه والمتفقه"، ج٢، ص٣٢٤، برقم (١٠٣٩).

[٤] الخطيب البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، ج٢، ص٣٢٤، برقم (١٠٣٩).

[٥] هو عطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح (٢٧ – ١١٤هـ): تابعي، من أجلاء الفقهاء. وُلد في "جند" باليمن، ونشأ بمكة. سمع عن عائشة وأبا هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهم ﷺ. كان مفتي أهل مكة ومحدِّثَهم، وتوفي فيها. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٩٨.

[٦] هو عبدُ الله بن أبي نَجِيح المكي، أبو يسار (ت١٣٠هـ): الإمام الثقة المفسر. حدَّث عنه شعبة بن الحجاج والسفيانان وابن عليه وآخرون. كان مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٤٤٤.

[٧] الخطيب البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، ج٢، ص٣٢٥، برقم (١٠٤٠).

ونظراً لخطورة هذا الأمر وأهميته، كان الإمامُ مالك بن أنسٍ يحتاط غاية الاحتياط في الإفتاء، كما أُثِر عنه أنه قال: "ما أجبتُ في الفتوى حتى سألتُ مَن هو أعلَمُ مني: هل يُرانِي مَوضِعاً لذلك؟، سألتُ ربيعةَ، وسألتُ يحيى بن سعيد[١]، فأَمَرانِي بذلك. فقيل له: يا أبا عبد الله[٢]! لو نَهَوْك؟، قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي لرجلٍ أن يَرَى نفسَه أهلاً لشيءٍ حتى يَسأَل مَن هو أعلَمُ منه"[٣].

أمّا اليوم فالأمرُ عجيبٌ، وحالُ الفتوى غريبٌ، فنجد في بلاد الإسلام في هذا الزمان أُناساً محسوبين على الدين يَتّجِرون به، ويَصطادون المال، ويَدّخِرونه لعاجلتهم، ويَذهَلون عن آخرتهم، يتزيّنون بالصَّلاح والتَّقوى، ويرتدون ملابس العلم والْمَشْيَخة، وينادون بالإرشاد إلى العمل الصالح، ويتقرّبون من الحكّام والوُجهاء، رجاءَ أن ينالوا مالاً أو منصباً أو جاهاً، قد اتَّخذوا الدين حِرْفةً، والعِلمَ مَطِيَّةً؛ لرفع خسيستهم، وتحقيقِ مآربهم!

فهؤلاء من شِرار الخَلْق، لا يرفع اللهُ ﷻ لهم عنده ذكراً، ولا يضع لهم في قلوب الناس قبولاً، ولا بينهم منْزلةً ومكانةً، ولا يُباليهم بالةً[٤].

(ب) "التَّعالُم" فيما يتعلَّق بمجال القضاء:

أمَّا القضاء فهو أعظَمُ ما يكون في بلاد الإسلام من المناصب وأعلاها، ورجالُه هم خِيْرَةُ علماء المسلمين الربانيين وأفاضلهم... ولعلماء السَّلَف - رحمهم الله تعالى - كثيراً من الكتب التي دوَّنوا فيها شروطَ القُضاة وأوصافهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يلزم الاجتناب عنه، وعلى رأسهم كتاب الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ في القضاء إلى عامله أبي موسى الأشعري ﷺ[٥].

---

[١] هو يحيى بن سعيد بن فروخ القَطَّان التميمي، أبو سعيد (١٢٠ - ١٩٨هـ): من حفاظ الحديث، والرواة الثقات، من أهل البصرة، كان إليه المنتهى في التثبُّت فيها. له كتاب "المغازي". انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

[٢] وهو كنية الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

[٣] الخطيب البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، ج٢، ص٣٢٦، برقم (١٠٤٢).

[٤] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٦٣، بتصرف وزيادة.

[٥] انظره في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن القيم، ص٦٥، وغيره من كتب التاريخ والسِّيَر.

وهذا المجال العظيم الخطير من مجالات الإسلام الهامَّة سوف يَلِجُ إليه كذلك مظاهر الكذب والخيانة، وهذا مما تنبَّأ عنه رسول الله ﷺ، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَكُوْنُ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ أُمَرَاءُ ظَلَمَةٌ، وَوُزَرَاءُ فَسَقَةٌ، وَقُضَاةٌ خَوَنَةٌ، وَفُقَهَاءُ كَذَبَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ ذَلِكَ الزَّمَنَ فَلاَ يَكُوْنَنَّ لَهُمْ جَابِياً وَلاَ عَرِيْفاً[١] وَلاَ شُرْطِيّاً»[٢].

وعن سعد بن أبي وَقّاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا»[٣].

وقد تحقَّق ما تنبَّأ به النبيُّ الصادق ﷺ حيثُ وُجِدَ ويُوجَد ناسٌ منحهم اللهُ ﷻ طلاقةَ اللِّسان وفصاحةَ الكلام، فجعلوها ذريعةً إلى المكسب والمأكل، بطريقة لا يُقِرّها الشرع، حيث يسعون بفصاحتهم وقُوّة كلامهم إلى إبطال الحقِّ وإحقاقِ الباطل، كما لا يَتَلَكَّأُوْنَ عن إعانة الظالم وإظهاره بطلاقتهم في مظهر المظلوم، إذا أرضاهم الظالم بعرضٍ من الدنيا، نسأل الله ﷻ التوفيق والسَّداد[٤].

وهذا من تمام الفتنة، وكُبريات الدَّواهي التي شاعتْ في الأمة وتفشَّتْ حتى أضحتْ داءاً عُضَالاً! لقد ارتفع الوُضَعاء، وعلا ذِكر الصِّغار، وذُلِّلَتْ لهم الأكناف، ووُطِّئَتْ السُّبُل، ودُفِع بهم إلى الصفوف الأمامية، فتصدَّروا المجالس، وتَبَّوؤا المناصب، ولانَتْ لهم المنابر، وأُلْقِيَتْ لهم الأسماء، وتحدَّثوا باسم العامَّة!

وأُهِيْلَ التُّراب على الكبار، وأُسدِل الستّار على تاريخهم وكفاءاتهم، وأُخِّروا إلى صفوف الخلفية، فشاخَتْ منْزلتهم، وضَعُف صوتهم، وخَمَل ذكرهم، في زمن الرُّوَيْبِضَة واللُّكَعات[٥].

---

[١] العَرِيْفُ: وهو القَيِّمُ بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس ما يلي أمورهم. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٩٠.

[٢] أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ج١، ص٢٠٤، برقم (٥٦٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج١٢، ٦٣. وقال الهيثمي: "في إسناده داود بن سليمان الخراساني، وقال الطبراني: لا بأس به". مجمع الزوائد، ج٥، ص٣٠١، برقم (٩١٧٧).

[٣] أخرجه أحمد في المسند، ج٣، ص١٥٤، برقم (١٥٩٧)، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤط: "حسن لغيره، ورجاله رجال الصحيح، إلا أنَّ زيد بن أسلم لم يسمع من سعد".

[٤] محمد ولي الله الندوي، نبوءات الرسول ما تحقَّق منها وما لم يتحقق، ص٢٦٩.

[٥] عبد الستار الشيخ، نبوءات الرسول دروس وعبر، ج٤، ص٤٦٤.

ولعِظَم أمر القضاء وخطرِ شأنه، فقد جاء فيه من الوعيد والتخويف ما لم يأت نظيرُه في الإفتاء وغيره، ومما جاء في ذلك من أحاديث المصطفى ﷺ:

١) ما رُوى عن عائشة – رضي الله عنهما – أنها ذُكر عندها القضاةُ فقالت: "سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَى بِالْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ**»[١].

وفي هذا الحديثِ دلالةٌ على خطر مرتبة القضاء وعِظَم أمره، حيث يدلُّ مفهوم الحديث على أنَّ القاضي العدل يُحاسِبه الله تعالى يوم القيامة أشدَّ ما يكون من الحساب لدرجةٍ أنه يتمنَّى أنْ لم يكن قد قضى بين اثنين في تمرة قطُّ، فماذا تُرَى سيكون حال مَن تساهَلَ في أمر القضاء بين المسلمين من القضاة؟!

وقد رُوي عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنهما – أنه قال: "ويلٌ لدَيَّان[٢] مَن في الأرض مِن دَيَّان مَن في السماء يومَ يَلقونه، إلا من أمر بالعدل، وقضى بالحقِّ، ولم يَقْضِ على هوى، ولا على قَرابة، ولا على رغبٍ ولا رهبٍ، وجعل كتابَ الله مِرآةً بين عَيْنَيْهِ"[٣].

٢) وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إِلاَّ حُبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَلِكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ؛ حَتَّى يَقِفَهُ عَلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَرْفَعَ رَأْسَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ قَالَ: الْخَطَّاءُ[٤]؛ أَلْقَاهُ فِيْ جَهَنَّمَ، يَهْوِيْ أَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً**»[٥].

---

[١] أخرجه ابن حبان في الصحيح، ج١١، ص٤٣٩، برقم (٥٠٥٥) والطيالسي في المسند، ج٣، ١٣٢، برقم (١٦٥٠)، وقال الهيثمي: "إسناده حسن"، انظر: مجمع الزوائد، ج٤، ص٢٤٨، برقم (٦٩٨٦).

[٢] الدَّيَّان: قيل هو: القَهّار، وقيل: هو الحاكم والقاضي، وهو: فعّال، مِن "دانَ الناسَ"، أي: قَهَرَهم على الطاعة". انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٥٩٤.

[٣] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص٣٥.

[٤] الخطَّاء: بالتشديد للمبالغة، هو من كان ملازِماً للخطايا غير تاركٍ لها. (انظر: "مسند أحمد"، حاشية١، ج٧، ١٧٤).

[٥] أخرجه ابن ماجه في السنن، أبواب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، ص٣٣٠، ٣٣١، برقم (٢٣١١)، وأحمد في المسند، ج٧، ص١٧٣، ١٧٤، برقم (٤٠٩٧)، وهو حديث ضعيف. (انظر: الألباني، ضعيف سنن ابن ماجه، ص١٨١، برقم٤٦٠)، وقال محقِّق المسنَد الشيخ شعيب الأرناؤط: "إسناده ضعيف

فهذا الحديثُ فيه دلالةٌ على خطر أمر القضاء، وعظيمِ ضَرَرِه للطالب لولايته، والمستشرف له بلا حقٍّ ولا علمٍ ولا أهليةٍ؛ لِمَا في ذلك من التعرُّض للحِرمان من عَوْن الله وتأييده وتوفيقه ونصرِه في الدنيا، أمَّا في الآخرة فأمرُه عسيرٌ، وحسابُه شديدٌ، وعقابُه أليمٌ، إنْ لم يَتّقِ اللهَ تعالى في هذه الأمانة العظيمة التي تتعلَّق بنفوس المسلمين وأموالِهم ودمائهم وأعراضِهم.

قال الإمام ابن قُدَامة[1] رحمه الله تعالى: "وفي القضاء خَطَرٌ عظيمٌ، ووِزْرٌ كبيرٌ، لِمن لم يُؤدِّ الحقَّ فيه، ولذلك كان السلف – رحمة الله عليهم – يمتنعون منه أشدَّ الامتناعِ، ويخشون على أنفسهم خطرُه...، وكان يُقال: أعلَمُ الناسِ بالقضاء أشَدُّهم له كراهةً[2].

٣) وعن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **«القُضَاةُ ثَلاَثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّة، وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فَهُوَ فِي النَّارِ»**[3].

لضعف مجالد – وهو ابن سعيد الهمداني –، ورُوي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف هو الصحيح، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيحَين". وبناءاً على هذا الحكمِ فالحديثُ موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ.

[1] هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الْجَمَّاعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قُدَامة المقدسي (٥٤١ – ٦٢٠هـ): فقيه محدّث. وُلد بـ"جَمَّاعيل"، وهي قرية بجبل نابلس بفلسطين. ثم رحل إلى دمشق ثم بغداد وقرأ على علمائها. كان حجةً في المذهب الحنبلي. ومن مؤلَّفاته: "المغني" و"المقنع" و"العمدة" في الفقه الحنبلي، و"روضة الناظر وجنة المناظر" في أصول الفقه. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٧٢، و١٣٨٠.

[2] أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قُدامة المقدسي، (١٤٠٣هـ)، المغني، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ج١١، ص٣٧٤.

[3] أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ص٣٢١، برقم (١٣٢٢)، وأبو داود في السنن، كتاب القضاء، باب في القاضي يخطي، ص٥١٣، برقم (٣٥٧٣)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب القضاء، باب التغليظ في الحكم، ج٢، ص٩١٥، برقم (٥٨٩١)، وابن ماجه في السنن، أبواب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، ص٣٣١، برقم (٢٣١٥)، والحاكم في المستدرك، ج٤، ص١٠١، برقم (٧٠١٢)، وصحَّحه ووافقه الذاهبي.

ويُشير هذا الحديثُ إلى أنَّ القاضي إذا كان عالِماً صالحاً، وبَذَل وُسْعَه في تحرِّي الحقِّ والقضاء بالعدل؛ فهو مأجورٌ وإنْ أخطأ. أمَّا إنْ أصاب فله أجران: أجرُ اجتهاده وتحرِّيه العدلَ، وأجرٌ لإصابته.

وأمَّا إذا قَبِلَ ولايةَ القضاء وهو غيرُ عالِمٍ، وأقدم على القضاء بجهلٍ؛ فإنه آثِمٌ، وهو أحدُ القاضِيَيْن اللذَين أخبر النبيُّ ﷺ أنه في النار.

٤) وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِيْنَ حَتَّى يَنَالَهُ، ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلَهُ؛ فَلَهُ النَّارُ**»[١].

ومعنى الحديث: أنَّ مَن سعى في طلب مرتبة القضاء حتى يُدرِكه، ثم حين يقضي بين المسلمين؛ كان عدلُه في حكمه أكثرَ من ظُلمه؛ فهذا وَعَده رسولُ الله ﷺ بدخول الجنَّة. ومَن كان قد غلب ظلمُه عدلَه في حُكمه بين المسلمين؛ فهذا مما يُوجِب له النار، وفي هذا دلالةٌ على خطر طلبِ القضاء لمن لا يجد في نفسه أهليةً لذلك[٢].

٥) وعن عبد الله ابن عَبّاس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ مَعَ الْقَاضِيْ مَا لَمْ يَجُرْ، فَإذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَه الشَّيْطَانُ**»[٣].

ومعنى الحديث: إنَّ الله تعالى مع القاضي المسلم العَدْل بالنُّصْرة والإعانةِ والتوفيقِ والسَّدادِ ما لم يَظلِم. فإذا ظَلَم؛ تخلَّى عنه بتركه وخِذلانه، وترك مددَه وعونَه ونصرتَه؛ وبذلك يَلزَمه الشيطانُ بالإضلال والتضليل، فلا ينفكّ عن تحريفه وتضليله عن جادَّة الحقِّ والصواب.

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب القضاء، باب في القاضي يخطئ، ص٥١٣، برقم (٣٥٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٨/١٠) برقم (١٩٩٥٢)، واللفظ لأبي داود، وهو حديث ضعيف، انظر: محمد ناصر الدين الألباني، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ضعيف سنن أبي داود، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ص٢٨٥، برقم (٣٥٧٥).

[٢] انظر: العظيم آبادي، عون المعبود ج٩، ص٣٥٣، ٣٥٤.

[٣] أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، ص٣٢٢، برقم (١٣٣٠)، وابن ماجه في السنن، أبواب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، ص٣٣١، برقم (٢٣١٢)، واللفظُ للترمذي، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

٦) وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ وَلِيَ القَضَاءَ، أو جُعِلَ قاضِياً بَيْنَ النَّاسِ؛ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّيْنٍ**»[١].

ومعنى هذا الحديث: أنَّ من تولَّى القضاءَ؛ فقد تعرَّض لهلاك دينه، فالذَّبْحُ بالسِّكِّين مُهلِكٌ، وبغير السكِّين فيه مع الهلاك شِدَّة التعذيب والإيلام.

ولهذا مثَّل النبيُّ ﷺ حالَ من يتولَّى القضاءَ بالمذبوح بغير سكّينٍ ليكون أبلغَ في بيان خطرِه، فيتوقَّاه، ويَنْزجِر عنه.

قال الإمام الخطَّابي[٢]: "معناه: التحذير من طلبِ القضاء، والحرصِ عليه"[٣].

فيدلّ ما جاء في هذا الحديث على: أنَّ خطر القضاء كبيرٌ، وضَرَرُه عظيمٌ؛ لأنه قلَّما عَدَل القاضي بين الخصمَين، لأن النفس مائلةٌ إلى من يحبّه أو يخدمه، أو مَن له منصبٌ يتوقَّى جاهَه، أو يخاف سلطنتَه، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العُضَال[٤].

٧) وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ مَعَ القَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ، فَإذَا جَارَ؛ وَكَلَهُ إلَى نَفْسِهِ**»[٥].

وفي هذا الحديثِ بيانٌ أنَّ الله تعالى مع القاضي العادل المعظِّم لحدود الله، يؤيِّده ويسدِّده ويُفهِمه، ما لم يَجُرْ؛ أي مالم يظلم، ويَتَّبِع الهوى، ويتجاوز حدودَ الله تعالى،

---

[١] أخرجه أحمد في المسند، ج١٢، ص٥٢، برقم (٧١٤٥)، والترمذي في الجامع، أبواب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ص٣٢١، (١٣٢٥)، وأبو داود في السنن، كتاب القضاء، باب في طلب القضاء، ص٥١٣، برقم (٣٥٧١)، وابن ماجه في السنن، أبواب الأحكام، باب ذكر القضاء، ص٣٣٠، برقم (٢٣٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب القضاء، باب التغليظ في الحكم، ج٢، ص٩١٥، برقم (٥٨٩٢)، واللفظ للترمذي، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

[٢] هو حَمْد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان (٣١٩ – ٣٧٧هـ): فقيه محدِّث لغويّ، من أهل "بُسْت" من بلاد كابُل. قال الذهبي وفي صفه: "كان ثقةً مثبتاً من أوعية العلم". له "مَعالِم السنن" في شرح سنن أبي داود، و"بيان إعجاز القرآن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث". انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠١٨، ١٠٢٠.

[٣] الخطابي، معالم السنن، ج٤، ص١٥٩.

[٤] انظر: علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج١٣، ١٢٤.

[٥] أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، ص٣٣١، برقم (٢٣١٢)، وهو حديث حسن، انظر: الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج٢، ص٢٥٠، برقم١٨٨٤.

ويَخُوْن الأمانةَ التي وَلِيَها. فإنه إنْ فعل ذلك؛ وَكَّله تعالى إلى نفسه، ومَن وُكِّلَ إلى نفسه؛ حُرِمَ التوفيق من الله تعالى، فلا يَجني إلا الخُذلان.

ولقد صَدَق نبيُّ الله شعيب – عليه السَّلام – حين قال: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، أي: وما رُشْدي وفلاحي إلا بيد الله تعالى.

وفي هذا الحديثِ جوازُ قبول ولاية القضاء لِمن أخذها بحقِّها، واتَّقى اللهَ فيها؛ لأن معيّة الله تعالى المشار إليها في الحديث معيّةٌ خاصةٌ، لا تكون إلا لعبدٍ يُحبّه اللهُ ويرضى عنه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وغير ذلك من الآيات التي تُشير إلى هذا النوع من المعيّة، وهي معيّةُ تأييدٍ وتوفيقٍ وتسديدٍ"[١].

ومثلُ هذا الأمرِ الجليلِ الذي عظَّم الإسلامُ شأنَه، "إذا دخله مُتعالِمٌ بتصرُّفاته السقيمة، ومعلوماتِه الضئيلة، وعقليتِه الهزيلة؛ صار تُكْأَةً لاستعداء العِداء على تحكيم شريعة ربِّ الأرض والسماء، ولا تَسَلْ عن اضطراب حبل الأحوال، وتتابُعِ الأهوال. وفيما دُوِّنَ في صفحات التاريخ عبرةٌ لِمن اعتبر، وعِظَةٌ لِمن ادَّكَرَ"[٢].

خاتمة البحث:

وبعد هذا... أكون بحمد الله وتوفيقه؛ قد وصلت إلى ختام هذا البحث، والذي قمتُ فيه بتعريف "التَّعالُم" كفتنةٍ من فِتَن آخر الزمان، التي نبَّأ رسولُ الله ﷺ بظهورها وانتشارها عند رفع العلم وفُشُوِّ الجهل، لغةً كما ورد في كتب أهل لغة العرب من القدماء والمعاصرين، ثم تعريفِه اصطلاحاً كما جاء في تعريفات أهل العلم ممن قاموا بمعالجة هذا الموضوع وبلورتِه من أولئك الذين تَعايَشُوا مع هذه القضية وأمثالها، وعاصروها واكْتَوَوْا بنيرانها، لكنهم لم يقفوا أمامها مكتوفي الأيدي ومُلْجَمي الألسنة؛ بل – وجزاهم الله تعالى على ذلك خيرَ ما جزى أهلَ علمٍ عن أمتهم – كانت لهم جهودٌ مشكورةٌ ومساعٍ جادّةٌ في إبراز هذه القضية وإظهارِها،

---

[١] انظر: العدوي، إهداء الديباجة، ج٣، ص٢٦٤، ٢٦٥.

[٢] بكر بن عبد الله أبو زيد، التَّعالُم وأثره على الفكر والكتاب، ص٥٤ و٥٥.

وبيانها وتعريفِها، وتناوُلِها بالدراسة والتحليل مع تقديم العلاج والحلول لوقف انتشارها وحَدِّ سريانها في المجتمع بأكمله.

كما بيّنتُ في هذا البحث تلك المجالات التي ظهر فيها "التَّعالُم" واستشرى فيها، وكما رأينا أنها من أهمِّ قنوات العلم ومجالات المعرفة لدى المسلمين من تدريس وتعليم، وتأليف وتحقيق، وإفتاء وقضاء، وكيف أنّ هذه المجالات الهامَّة إذا دخلها "التَّعالُمُ" فإنه يُفقِدها هيبتَها ووقارَها، ويُنقِص من قَدْرها وشأنِها، ويجرح عِزَّها وكرامتَها، فلا بُدّ من تنظيف هذه القنواتِ وتنقيتِها من مثل هذه الشوائب الكَدِرَة، والرَّواسِب العَكِرَة؛ لتعود قنواتُ العلمِ صافيةً نقيةً معتزّةً بثقة الإسلام، مفخرةً للمسلمين.

نتائج البحث:

وبعد أنْ ساقني توفيقُ الله ﷻ وعونُه، وكريمُ مَنِّه وإحسانِه لإتمام هذا البحث، ودراسةِ موضوعه؛ فقد توصّلتُ من خلال معايشته إلى هذه النتائج، وهي كالتّالي:

١) عرَّف البحثُ "التَّعالُمَ" من حيث اللغة إذ معناه: "ادِّعاء العلم وإظهارُه ممن ليس من أهله"، كما عرَّفه أيضاً من حيث الاصطلاح بأنه: "ادِّعاءُ الإنسانِ العلمَ قبل التعلُّم الحقيقي، حيث لا يعرف مرتبةَ الدليل ولا مناطِه، ولا يعرف الفرقَ بين المجمَل والمبيَّن، والمطلَق والمقيَّد، والعامِّ والخاصِّ، والناسخ والمنسوخ، ثم يتجرَّأ على الخوض في كتاب الله وسُنّةِ رسول الله ﷺ، وأصولِ الإسلام"، ونتيجةً لذلك قد يقع في التكفير أو التفسيق أو التبديع.

٢) كما عرَّف البحثُ "الْمُتعالِمَ" بأنه شخصٌ يُظهِر نفسَه أنه عالِمٌ بالأمور الشرعية ودلائلها، وطرائقِ الاستنباط فيها، يدَّعي أنه كذلك وليس كذلك، ثم يتكلَّم في مسائل الأمة إمّا في قضاياها الكبار، أو في مسائل العلم الشرعية، وهو على هذه الحال، حيث إنه قليلُ البضاعة في العلم أو مُدَّعٍ للعلم وليس بعالِمٍ.

٣) أظهر البحث بعد الدراسة الموضوعية للأحاديث النبوية الواردة في قضية "التَّعالُم" كالحديث الوارد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا»، وكالحديث الوارد عن عَمْرو بن تَغْلِب ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ، وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ»، وكالحديث الوارد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول

الله ﷺ: «سَيَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ سَنَواتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيْهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيْهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيْهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيْهِ الأَمِيْنُ، وَيَنْطِقُ فِيْهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيْلَ: وَمَنْ الرُّوَيْبِضَةُ؟، قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ، فِيْ أَمْرِ العَامَّةِ»: أنَّ "التَّعالُم" نُبُوْءَةٌ عظيمةٌ من نبوءات الرسول ﷺ، التي قد أخبر بوقوعها في آخر الزَّمان قُرْب يوم القيامة، وقد تحقَّقت هذه النبوءة، ووقعتْ تماماً كما أخبر بها عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وفي هذا أعظَمُ الدلالة على صِدق الرسالة المحمدية وإعجازِها وكمالها.

٤) أثبت البحثُ أنَّ "التَّعالُم" قد ظهر في أعظم مجالات العلم وأجلِّها وأخطرِها، وأهمِّ قنوات المعرفة وأفضلِها وأشرفِها، وهي المتعلقة بالتعليم والتدريس، والتأليف والتحقيق، والقضاء والإفتاء.

هذه هي أهَمُّ النتائج التي توصّلتُ إليها من خلال هذا البحث، وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبَّل عملي هذا، ويجعله في موازين حسناتي يوم القيامة وصلَّى اللهُ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر ومراجع البحث:

١) ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط٣. بيروت: دار المعرفة.

٢) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. (١٤١٢هـ). **مجموع الفتاوى**، ترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه. ط٢. الرياض: دار عالم الكتب.

٣) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي. (١٣٩٨هـ). **شرح علل الترمذي**. تحقيق: نور الدين عتر. ط١. دمشق: دار الملاح.

٤) ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكتاني. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**. تحقيق: محمد بن مهدي العجمي. ط٢. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

٥) ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الدويني. (١٤١٥هـ). **الشافية في علم التصريف**. تحقيق: حسن أحمد العثمان. ط١. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

٦) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **الصحيح**. ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٧) ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **تهذيب التهذيب**. تحقيق: إبراهيم زيبق وعادل مرشد. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٨) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري.(١٩٧٨م). **كتاب الأخلاق والسير ومداواة النفوس**. تحقيق: عبد الحق التركماني. ط١. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

٩) ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي. (١٤٠٧ه). **الأصول في النحو**. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي. (١٤٣٠ه). **جامع بيان العلم وفضله**. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. ط٨. الرياض: دار ابن الجوزي.

١١) ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله الدمشقي. (١٤٠٣ه). **المغني**. ط١. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبو بكر بن أيوب الدمشقي. (١٤٢٧ه/٢٠٠٦م). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: رائد بن صبري بن أبي عَلفة. ط١. الرياض: دار طيبة.

١٣) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي. (١٤٢٥ه/٢٠٠٤م). **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط١١. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

١٤) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٤٢٦ه/٢٠٠٥م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: السيد محمد السيد ووجيه محمد أحمد وآخرين. ط١. القاهرة: دار الحديث.

١٥) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني. (١٤٢٠ه/١٩٩٩م). **السنن**. ط١. الرياض: دار السلام.

١٦) ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي. (د.ت.). **كتاب الزهد**. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (١٤٢٠ه/١٩٩٩م). **السنن**. ط١. الرياض: دار السلام.

١٨) أبو غدة، عبد الفتاح أبو غدة الحلبي. (١٤٣٩ه/٢٠٠٩م). **قيمة الزمن عند العلماء**. ط١٣. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

١٩) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله. (١٤١١ه). **المسند**. تحقيق: شعيب الأرناوط وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٠) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (١٣٨٤ه/١٩٦٤م). **تهذيب اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين. ط١. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢١) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني. (١٤١٧ه/١٩٩٦م). **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٢) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٣٨٨ه). **صحيح الجامع الصغير وزياداته**. ط١. بيروت: المكتب الإسلامي.

٢٣) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٧ه/١٩٩٧م). **صحيح سنن ابن ماجه**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٤) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **صحيح سنن أبي داود**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٥) الألباني، محمد ناصر الدين.(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). **صحيح سنن الترمذي**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٦) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **صحيح سنن النسائي**". ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٧) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **ضعيف سنن ابن ماجه**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٨) الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **ضعيف سنن أبي داود**. ط١. الرياض: مكتبة المعارف.

٢٩) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩.). في **الأدب المفرد**. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط٥. بيروت: مؤسسة الريان.

٣٠) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **الجامع المسنَد الصحيح**. ط٥. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣١) بكر بن عبد الله أبو زيد. (١٤١٦هـ). **التَّعالُم وأثره على الفكر والكتاب**. ط١. الرياض: دار العاصمة.

٣٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي. (١٤٠٥هـ). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا. ط٣. بيروت: عالم الكتب.

٣٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **السنن**. ط١. الرياض: دار السلام.

٣٤) التويجري، محمود بن عبد الله. (١٣٩٤هـ). **إتحاف الجماعة بما جاء في الفِتَن والملاحم وأشراط الساعة**. ط١. الرياض: مطابع الرياض.

٣٥) الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان. (١٩٩٥م). **الرسائل السياسية**. تحقيق: علي أبو ملحم. ط٣. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

٣٦) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (٢٠٠٩م). **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط٤. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٧) الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد. (د.ت). **شذى العرف في فنّ الصرف**. ط١. بيروت: المكتبة الثقافية.

٣٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤). **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية،

٣٩) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. (١٤١٧هـ). كتاب **الفقيه والمتفقه**". تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط١. الرياض: دار ابن الجوزي.

٤٠) الدارمي، محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **السنن**. تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط١. دمشق: دار المصطفى.

٤١) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (١٣٣٣هـ/١٩١٥م). **تذكرة الحفاظ**. ط١. حيدرآباد: دائرة المعارف العثمانية.

٤٢) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٣) الزركلي، خير الدين. (١٩٩٧م.). **الأعلام**. ط١٢.بيروت: دار العلم للملايين.

٤٤) الساكت، طه بن محمد. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **من ذخائر السنة النبوية**. جمع وترتيب: محمد بن أحمد المكي. ط١. جدة: دار نور المكتبات.

٤٥) السعدي، عبد الرحمن ناصر. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ط١. القاهرة: دار الحديث.

٤٦) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. (١٤١١هـ/١٩٩١م). **الكتاب**. تحقيق عبد السلام هارون. ط١. بيروت: دار الجيل.

٤٧) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي. (١٩٩٣م). **الرسالة**. تحقيق: أحمد شاكر. ط١. دمشق: دار الفكر.

٤٨) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليماني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. تحقيق: محمد حسن خلاق. ط٢. دمشق: دار ابن كثير.

٤٩) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). **المعجم الأوسط**. تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد. ط١. القاهرة: دار الحرمين.

٥٠) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **المعجم الكبير**. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط١. بيروت: مؤسسة الريان.

٥١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). **المعجم الصغير**. ط١. القاهرة: دار النصر.

٥٢) الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **المسند**. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي. ط١. جيزة: هجر للطباعة والنشر.

٥٣) عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). **المصنَّف**. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي.

٥٤) عبد الستار الشيخ. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). **نبوءات الرسول ﷺ دروس وعِبَر**. ط١. دمشق: دار القلم.

٥٥) عبد الله العقيل. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **من أعلام الدعوة والحركة المعاصرة**. ط٧. جدة: دار البشير.

٥٦) العثماني، محمد تقي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**. ط١. دمشق: دار القلم.

٥٧) العدوي، صفاء الضوي أحمد. (٢٠٠١م). **إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه**. ط١. المنامة: دار اليقين.

٥٨) العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق. (د.ت). **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٩) على القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان الهروي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. ط١. بيروت: دار الفكر.

٦٠) العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد. (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). **عمدة القارئ في شرح البخاري**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦١) الفراهيدي، خليل بن أحمد. (١٩٨٠م). **كتاب العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ط١. بغداد: دار الرشيد.

٦٢) الكيرانوي، وحيد الزمان القاسمي. (ط١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **القاموس الوحيد**. ط١. كراتشي: إدارة الإسلاميات.

٦٣) مالك بن نبي. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). **شروط النهضة**. ط٤: دمشق: دار الفكر.

٦٤) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). **تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦٥) محمد خير رمضان يوسف. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **تتمة الأعلام للزركلي**. ط٢. بيروت: دار ابن حزم.

٦٦) محمد عوامة. (١٣٣٤هـ/٢٠١٣م). **مَعالِم إرشادية لصناعة طالب العلم. ط١**. جدة: دار المنهاج.

٦٧) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **الصحيح**. ط١. الرياض: دار السلام.

٦٨) **المعجم العربي الأساسي**. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). ط١. تونس: لاروس.

٦٩) **المعجم الوسيط**. (د.ت). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

٧٠) الميداني، أحمد بن محمد. (١٤٠١هـ). **نزهة الطرف في علم الصرف**. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.

٧١) الندوي، سيد أحمد زكريا الغوري. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

٧٢) الندوي، محمد ولي الله بن عبد الرحمن. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **نبوءات الرسول ما تحقَّق منها وما لم يتحقق**. ط٨. القاهرة: دار السلام.

٧٣) نزار أباظة و محمد رياض المالح. (١٩٩٩م). **إتمام الأعلام**. ط١. بيروت: دار صادر.

٧٤) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **السنن الكبرى**. تحقيق: أبو أنس جاد الله بن حسن الخداش. ط١. الرياض: مكتبة الرشد.

٧٥) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (١٩٩٦م). **المجموع شرح المهذب**. ط١. بيروت: دار الفكر.

٧٦) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط٤. بيروت: دار المعرفة.

٧٧) همام عبد الرحيم سعيد. (١٤٢٨هـ). **موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة**. ط١. عمان: مركز دراسات السنة النبوية.

٧٨) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر المصري. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٩) يوسف بن عبد الله بن الوابل. (١٤١٤هـ/١٩٩٤م). **أشراط الساعة**. ط٤. الدمام: دار ابن الجوزي.

المصادر الإلكترونية:

٨٠) عبد الرحمن بن صالح المحمود. **فتنة التَّعالُم**. القرص المدمج. الرياض: تسجيلات الراية الإسلامية.

مواقع الإنترنيت:

٨١) الفوزان، صالح بن فوزان. **التَّعالُم وآثاره الخطيرة على الأمة!**. موقع "شبكة سحاب السلفية": www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=١١٩٦٩٠

٨٢) لعويسي، أبو بكر يوسف. **المعالم لمعرفة حد التَّعالُم**. موقع "الأمين موقع سلفي علمي للتعريف بالمصطلحات والعلوم الشرعية": www.al-amen.com/vb/showthread.php/٧٦٢٩

٨٣) محمد حسان. **فضل العلم وخطورة التَّعالُم**. موقع فضيلة الشيخ محمد حسان. http://www.mohamedhassan.org/alkhotab

٨٤) محمد خلف سلامة. **لسان المحدِّثين**. موقع "صيد الفوائد": http://www.saaid.net/book/open.php?cat=٩١&book=٣٥١٦

٨٥) موقع "الإمام الآجري". http://www.ajurry.com/TarjamaFozan.htm

٨٦) موقع "الإثنينية" www.alithnainya.com/tocs/default.

٨٧) "موقع عبد الرحمن بن صالح المحمود". http://almahmod.net/index.php?option=content&task=view&id=٥١٧&Itemid=٨

٨٨) "موقع الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد". http://s.sunnahway.net/bakrabozaid/